الفصل التاسع

خاتمة: ما وراء لعبة اللوم

المزيد من المشكلات الذهنية والسلوكية، المزيد من الحبوب المعدلة للعقل، المزيد من الأمراض المنقولة بواسطة الجنس، المزيد من الأطفال البدينين، غير السعداء، المدخلين إلى المؤسسات، والذين هم من مختلف الأعمار: هذه الحقائق القاسية إما لم توجد من ربع قرن وإما كانت أقل انتشاراً مما هي عليه الآن. كانت تغيراً نحو الأسوأ بالنسبة للأطفال الأميركيين. وهكذا نأتي إلى إغلاق الدائرة، إلى السؤال الذي أثير في بداية هذا العمل: من المسؤول عن المشكلات المحددة، الجديدة التي يعاني منها الأطفال والمراهقون اليوم؟

لم يُهمل هذا السؤال في النقاش الحالي عن حياة الأسرة الأميركية، وإنما أسيء فهمه على نطاق واسع. وحين واجهتهم شيئاً فشيئاً الأدلة المتراكمة في هذا الكتاب، بدأ المراقبون يسألون، من

obeikandi.com

طاولة المطبخ إلى الأكاديمية، ما الذي يمكن أن يفسر هذه المشكلات المختلفة، ومع مرور الأعوام نمت قائمة المذنبين المزعومين. وبينها اللقاحات، PCBs، هرمونات النمو في الحليب، الطعام السريع، أصدقاء المدرسة، التلفزيون، ألعاب الفيديو، وموسيقى الراب. وكمثل أنف بينكوشيو Pinocchio ولكن بدون حس الفكاهة، تطول القائمة مع كل طرح للسؤال. فمن الأنباء السيئة عن العناية النهارية إلى الأنباء السيئة عن العقاقير المعدلة للسلوك، إلى سمنة الطفل، والمشكلات الذهنية، والأمراض المنقولة بواسطة الجنس، حاول المعلقون أن يشرحوا لماذا أنواع المشكلات المناقشة في هذا الكتاب هي إما ليست مشكلات وإما غير ناجمة عن الغياب المزمن لكثير من الآباء والأمهات من المنزل.

باختصار، صار المنع السائد ضد إثارة مسألة الوالدين والحياة المنزلية قاعدة مقيّدة فكرياً(*). وتحت ضغط ثقافي لكبح ما يعاني منه الأطفال اليوم، قدم معظم المعلقين تشكيلة وحشية ومتنوعة من النظريات التي تشير إلى جميع الجهات: إلى جميع الأمكنة، باستثناء المنزل. وفي فعلهم لذلك، صاروا، دون انتباه، كمحام بست حجج حول ما يقوم به: باختصار، غير مقنعة.(1)

على سبيل المثال، إذا كان قارئنا المتشكك سيناقش المشكلات والمسائل المتنوعة المثارة في هذه الصفحات، فإن كل واحدة سيكون

(*) القاعدة المقيّدة: أي قاعدة موضوعة لتقييد حرية المناقشة أو التعبير بخاصة في هيئة تشريعية.

لها شرح مختلف، وستكون النتيجة كالتالي: إذا سألت عن التحسن الواضح في الاضطرابات السلوكية والذهنية، فإنه يلوم PCBs أو اللقاحات، أو هرمونات النمو في الحليب البقري، أو العرض الأفضل والوعي الأعلى لمشكلات كهذه. وإذا سألت عن الأطفال الزائدي الوزن أو البدينين، فإنه يشير إلى التلفزيون والطعام السريع. وإذا ذكرت أن الرعاية النهارية تزيد النزعة العدوانية لدى بعض الأطفال، يرد أن هذه ليست في الحقيقة نزعة عدوانية أو أنها تؤثر على بعض الأطفال فحسب. أو يمكن أن يقول إن ما يدعى بالعدوانية ربما جيد وليس سيئاً، وإنه يجب أن تنظر إلى ازدياد النزعة العدوانية إزاء فوائد التهيئة الاجتماعية المبكرة. وإذا أضفت أن كثيراً من المدرسين والمدراء يعتقدون أن سلوك الأطفال اليوم هو أسوأ مما كان عليه من قبل، يقول إن المذنبين هم حجم الصف، ألعاب الفيديو العنيفة، موسيقى الراب المريعة، وكثير من السكّر والطعام الصناعي.

تقول لنا هذه المحاولة المصممة بنحو مؤذ، لحرف الانتباه عن مكانه الطبيعي، شيئاً ما مهماً. ثمة أسباب متعددة لجميع أنواع الظواهر الإنسانية، بالطبع، وبينها المشكلات المفحوصة في هذا الكتاب، ولكن ليست كل الأسباب متساوية. بعضها أكثر جوهرية من غيره، كما تظهر نظرة متفحصة إلى الأسباب المتنوعة المسؤولة التي قُدمت حتى الآن للأسباب نفسها، في الجزء الأكبر.

القفز عبر الأطواق

فكروا، على سبيل المثال، بشرح مشكلة طفل تم وصفها سابقاً ازدادت درامياً فيما بعد: التوحّد. أشار الأطباء والمراقبون العاديون، طوال سنوات، إلى ارتفاع حاد في عدد الأطفال الذين ينطبق عليهم مرض التوحد، وهذا يعني أنهم يمتلكون أعراضاً تتسلسل من الضعف الاجتماعي الخطير إلى أشكال أكثر مكراً لما كان يُعدُّ سابقاً سمات سلوكية مثل الانطواء، التسلط أو الوقاحة.

وفي محاولة لشرح الازدياد في سمات سلوكية كهذه، بحث معظم المراقبين عن سبب كامن في مكان ما غير حياة الطفل المنزلية.

هكذا، بحث كثير من الأطباء في الداخل، في "شبكة أسلاك الدماغ". ونظر كثير من الناس إلى الخارج إلى مشتبه بهم مختلفين غير الأحياء مثل ثنائي PCBs والسموم البيئية الأخرى، واللقاحات.[2] ولم تسأل سوى قلة قليلة من المراقبين إن كان التوحد (وإذا ما وسعنا الأمر، المشكلات الذهنية للأحداث ذات الصلة) يمكن أن يكون متصلاً باتجاهات أخرى تؤثر بكثير من الأطفال وبينها الحياة دون أب، رؤية الأم قليلاً، وجود أشقاء قليلين وأسرة كبيرة، ومظاهر أخرى من حياة المنزل الحديثة.

يُظهرُ الحماس الذي نوقشت به الموضوعات غير الحية ـ وخاصة نظرية اللقاحات كسبب لاضطراب التوحد ـ أمراً واحداً:

openkanan.com

محاولة بعض الأشخاص المتواصلة لتجنب ذكر أي من الاتجاهات الأسروية. ففي دراسة بعد أخرى لم يؤد المكبر الذي وضع على اللقاحات إلى أي شيء. ولقد عبّر عنوان في **النيويورك تايمز** في عام 2004 عن الأمر بوضوح في آخر تلخيص للدليل العلمي: "ندوة لم تعثر على أي دليل لربط التوحد باللقاحات".[3] وشرح ذلك المقال كيف أن لجنة من الخبراء عينتهم مؤسسة الطب - إحدى أكثر الهيئات الطبية أصالة في البلاد - استنتجت في نهاية دراسة استمرت أربع سنوات أن نظرية اللقاحات المتعلقة بالتوحد كانت شيئاً يصرف الانتباه عن المسألة. فقد حث تقرير اللجنة أن البحث في التوحد يجب أن يركز على مجالات "أكثر إنتاجية" مثل العوامل الجينية "والبيئية (أي الحياة المنزلية)". فهذا التحذير الفائق للعادة في وثيقة تصدر عن المؤسسة الطبية نفسها يعبر عن خيبة الأمل التي شعر بها الأطباء والباحثون حين واجههم الإلحاح على نظرية اللقاحات.[4]

ومع ذلك توحي التجربة أن هذا الدحض الأخير لن يكون بعد الآن فعالاً في تنفيس الاعتقاد الهيامي بأن شيئاً ما مثل اللقاحات "يشرح" التوحد. لماذا؟ لأن نظرية اللقاح الخاصة بالتوحد هي أحد تجليات إلحاح ثقافي قوي جداً للعثور على مصدر مشكلات الطفل الفريدة اليوم في مكان ما غير المحيط المباشر للطفل، أي المنزل، الوالدين، والأسرة والافتقار إليها.

وكي نكرر فكرة طُرحت سـابقـاً، أنا لا أقـول إن المشكلات الذهنية والسلوكية التي تثقل الكثير من أطفال اليوم كلها ناتجة عن غياب الوالدين. لستُ طبيبة أو باحثة في مخبر، ولا أشك بأن "المرض الذهني الحقيقي يمكن أن يوجد في الأطفال كما في البالغين". ما أقوله هو أن الرغبة المحمومة لإرجاع مشكلات اليوم الذهنية والسلوكية إلى مشتبه بهم غير أحياء مثل اللقاحات، برغم الدليل الواضح، تبين لنا كيف أن مجتمعنا يتمسك بنحو انعكاسي بشرح معين، بأي شرح لا يتضمن الوالدين.

يمكن أن يُرى المثال الثاني الذي يظهر الدفع التجاذبي للشروح التي تشير إلى الوالدين أو الأسرة حول مشكلات أطفال اليوم في الإجماع الحالي حول مسألة أخرى من المسائل التي فُحصت سابقاً: الارتفاع في نسبة سمنة الأطفال. بالنسبة لكثير من المعلقين إن الأسباب المسؤولة عن سمنة الأطفال واضحة بما يكفي: نمط الحياة القائم على الإكثار من الجلوس والطعام السريع. ويقدم كلٌّ من العاملين شرحاً إلى حد ما. وكما رأينا في الفصل الذي يناقش البدانة، كلاهما يجيب على جزء من السؤال: "كيف" يسمن الأطفال (والبالغون) بطريقة آلية. ولكنهما لا يشرحان سؤال "لماذا" الذي يكمن فيهما: لماذا يُسمح للأطفال بأن يقوموا بكل ذلك الجلوس وتناول الطعام؟ يمكن أن يكون جواب هذا السؤال فحسب أن الأطفال أقل خضوعاً للإشراف حيال هذا المغريات مما كانوا عليه من قبل. وغالباً لا يوجد أحد كي يتفوه بأمور حمت أجيالاً أخرى

openkanadi.com

من الأطفال من الإفراط في تناول الطعام كما يفعلون اليوم، مثل: "اذهب إلى اللعب" أو "اخرج من الخزانة وانتظر العشاء" أو "أَنْهِ وظيفتك، وسآخذك إلى الحديقة". وبالتأكيد، إن إحدى النتائج غير المقصودة للانفصال بين الوالدين والطفل هي أنها خفضت من عدد الوجبات التي يشرف عليها الآباء والأمهات، الراشدون أنفسهم الذين هم الأكثر اهتماماً بصحة الطفل على المدى الطويل. ورغم اشتهار موضوع سمنة الأحداث في هذين العامين الأخيرين، لم يصغ أحد إلى هذا الشرح. والسبب، مرة أخرى، هو قوة منعنا الاجتماعي ضد طرح أسئلة حول غياب البالغين وما يحدث للأطفال.

فكروا بمثال ثالث حول كيف أن المنع يحرفُ الانتباه عن مشكلة أخرى: المرض المنقول بواسطة الجنس. فقد تحدث الخبراء بنحو متكرر عما لا يحتاج المرء إلى خبير كي يخمنه وهو أن بعض مراهقي اليوم يمارسون الكثير من الجنس العابر لأن منع الحمل الفعال (وخاصة طويل الأمد) يجعله سهلاً. صحيح أن منع الحمل يقدم طريقة معينة للجواب على سؤال "كيف (أي كيف أن الجنس العابر ممكن). ولكن "لماذا" جنس المراهقين، والذي هو سؤال مختلف، لا يمكن أن يجاب عليه إلا بهذه الطريقة: إن تفشّي الأمراض المنقولة بواسطة الجنس مرتفع لأن كثيراً من المراهقين غير خاضعين للإشراف، وخاصة بعد المدرسة. ومن بين الدراسات والتقارير المتنوعة المذكورة في هذا الكتاب التي سحرت ذهني أكثر

من غيرها تلك التي نُشرتِ في **بيدياتريكس** (مجلة طب الأطفال) والتي ذُكرت في الفصل الخاص بالأمراض المنقولة بواسطة الجنس، والتي أشارت إلى أين يمارس معظم المراهقين الجنس: البيت الفارغ لأحد البالغين. ولكن هل يُذكر "الوالدان" و"المرض بواسطة الجنس" في الجملة نفسها حين يُطرح موضوع هذه الأمراض؟ الجواب هو: نادراً.

هناك تكتيك آخر لحرف الانتباه، بنحو فعال إن لم يكن قصدياً، وهو الحجة القائمة حول مسؤول آخر مفضل عن مشكلات الأطفال: التلفزيون والألعاب الإلكترونية ذات الصلة. إذ يعتقد كثير من البالغين المهتمين، وبينهم الكثير من الأطباء والمدرسين، أن الازدياد الملحوظ في عدد الأطفال ذوي السلوك المضطرب - وبينهم المصابون باضطراب العجز عن الانتباه وفرط النشاط - متصل باستهلاك التسلية الإلكترونية واسعة الانتشار من الصبا حتى سن متأخر. فضلاً عن ذلك، أولئك النقاد يمتلكون دليلاً. ورغم أن التفكير الأرثوذكسي حول اضطراب العجز عن الانتباه وفرط النشاط يرفض بقوة الصلة، فإن ذلك الاضطراب بخاصة تم ربطه تكراراً بوقت زائد أمضي في مشاهدة التلفزيون.[5] حتى إذا لم تكن البرامج التلفزيونية "تسبب اضطراب العجز عن الانتباه وفرط النشاط أو مشكلات أخرى لها تسميات خاصة، فإن معظمها لا يزال رخيصاً، وعنيفاً، ومنحطاً، هذا إذا لم نقل أنه قذر وضار ومغفل. ويحاول بعض الأطفال أن يحاكوا ما يشاهدونه فيها. ولكلا

السببين إن معظم الناس الذين يفكرون بالأمر قليلاً سيوافقون أن الشاشة قذرة.

ولكن هنا مرة ثانية، في حالة التلفاز، نحن ننظر إلى شرح لـ"كيف". في النهاية، إن التلفاز والإنترنت، وأنواع التسلية الأخرى البليدة لن تكون المشكلات والمؤثرات التي تمثلها لو لم يعتمد الأب والأم عليها. لماذا ملايين الأطفال لديهم تلفزيونات في غرف نومهم حتى حين يستهجن آباؤهم وأمهاتهم ما يشاهدونه (على الأقل في المسوحات)؟ لأنه يخدم الوالدين. فالتلفاز والألعاب الإلكترونية الأخرى تبقي الأطفال منشغلين. وكما عبرت جوديث شولفيتز عن الأمر بصراحة مثيرة للإعجاب في **سليت**، في مقال ينقد أطباء الأطفال من أجل تزكية أخيرة للحد من وقت الأطفال الخاص بالتلفزيون: "التلفاز يجعل الوظيفتين أو الأسرة التي فيها أحد الوالدين أمراً ممكناً".(6)

معيار أو شعار؟

يقودنا هذا إلى الانحراف الأكثر تعقيداً على المستوى الفكري إلى النقطة المحورية، ورقة الجدل الرابحة التي تُلعب دوماً كلما قال شخص ما إن الأطفال ليسوا بخير. "من هنا"، يمكن أن يشرح خط التفكير هذا. "أنا أريد أن أقرّ أن بعض الأطفال أو كثيراً منهم اليوم يواجهون مشكلات معينة خطيرة لم نواجهها، ولكن تلك

المشكلات تتصل بالمنزل الخالي من الوالدين فحسب. لا يعني هذا أن الوالدين الغائبين يسببان ذلك. ألا تعرفون القاعدة الأولى للعلم الاجتماعي: العلاقات المتبادلة لا تثبتُ العلّة".

"العلاقات المتبادلة لا تثبت العلة" هي الخدعة اللغوية الجوهرية في خدمة أميركا الوحيدة في المنزل. وفي كل حين، مع مرور الأعوام، يرفع أحدهم يداً حين تُناقش الرعاية النهارية، وأطفال المفتاح المزلاجي، وغياب الأب، وأقراص تعديل السلوك، أو المشكلات الذهنية ويقول: **انظروا، هناك أدلة تشير إلى أن غياب الوالدين يؤذي الأطفال**. وفي كل مرة يقول أحدهم هذا، يحدث الأمر نفسه: ينظر جيش من رجال الإحصاء الذين يرتدون المعاطف البيضاء إلى الأعلى من أوراقه الجماعية المتناثرة، وإحصاءاته المستقلة وتحليلاته، ينزل نظارته إلى الأسفل، وينشد مقطّباً: **وماذا يعني هذا؟ في النهاية، العلاقات المتبادلة لا تثبت العلة.**[7]

ولكن ماذا تعني هذه الصيغة بالضبط؟[8] في أحد المستويات ـ الأكثر شفافية ـ تمثل الحقيقة المنطقية البريئة القائلة بأن الأمور التي تبدو متماشية مع بعضها فحسب لا يعني أن أحدها يسبب الآخر.[9] مثلاً، كما تشرح جوديث ريتش هاريس النقطة، يمكن أن تكون الحالة أن الأغنياء يأكلون البركولي[*] أكثر من غيرهم، ولكن

(*) ضرب من القنبيط.

هذا لا يعني أن تناول البركولي جعلهم أغنياء. كمسألة منطق بسيطة، هذه إحدى طرق شرح ما تعنيه العبارة.

والسؤال الأكثر إلحاحاً، نظراً لهيمنته في مجادلات اليوم حول الأسرة، هو كيف تُستخدم هذه الصيغة. ومن الممتع بما يكفي، على الأقل في الأدبيات المعاصرة حول الفصل بين الطفل والوالدين، أنه يتم استحضاره لهدف واحد فحسب وهو استبعاد فكرة أن أية دراسة جديدة أو مسح أو حجة أخرى قد "برهنت" بالفعل أن الوالدين الغائبين يؤذيان الأطفال بأية طريقة.[10] لهذا إن أي شخص يتابع مجادلات طويلة معينة في هذين العقدين الأخيرين ـ حروب الأمهات، حروب الرعاية النهارية، أدبيات حول الافتقار للأب والطلاق ـ سوف يسمع هذه الشعار البحثي عدة مرات. إنه كما قلت، ورقة رابحة، أو هكذا يعتقد المناصرون الذين صاروا يستخدمونه بهذه الطريقة.

في الحقيقة، تفشل هذه الطريقة الأكثر خيالية في تفادي مسألة المسؤولية، مثل الطرق الأخرى، في اختبار المصداقية. فكروا بهذا المثال المضاد الهام من مكان آخر في الحياة: التدخين. قالت شركات صناعة التبغ المحاصرة، طيلة سنوات، جوهرياً، بالضبط ما يفعله اليوم بعض الناس المتنورين حيال مشكلة الأطفال: إن العلاقات المتبادلة بين التدخين ومشكلات صحية معيّنة هي علاقات متبادلة فحسب، والعلاقات المتبادلة لا تثبت العلة. بتعبير آخر، وبحسب لازمة شركات التبغ المتكررة: إن مجرد أن الناس

الذين يدخنون يميلون إلى الإصابة بمزيد من المشكلات الصحية لا يعني أن التبغ "سبب" المشكلات. هل ساعدت حجة "العلاقة المتبادلة" شركات التبغ الكبيرة؟ هل وافق الناس بقوة وقالوا، بالنتيجة: **هذا عظيم**، وبما أنه في الحقيقة لم "يبرهن" أي شيء على أن التبغ يسبب مشكلات صحية، فإننا جميعاً يمكننا أن نواصل التدخين كما من قبل؟

ليس هذا ما حدث مطلقاً، بالطبع. على العكس: تغيرت الأنظمة والقوانين من جميع الأنواع وفُرضت ضرائب مرتفعة على التدخين، وخُفِّض وحورب. لماذا؟ لأن البشر حين يكونون عقلانيين وغير إيديولوجيين حيال المسائل، فإن معظمهم، إذا اعتمدوا على دليل حواسهم، يشتبهون أن التدخين يسبب أذى جسدياً. وبالضبط، بالطريقة نفسها، يستطيع معظم الناس أن يربطوا بين غياب الوالدين ومشكلات الطفل، ولا يحتاجون إلى تحليل ارتدادي أو أداة علم اجتماعي أخرى من أجل فعل ذلك.[11]

تلخص الطبعة الرابعة من كتاب **حقائق الأب**، الذي أوردت له خلاصة وافية سابقاً، المعطيات التجريبية من جميع المنازل التي تعاني من مشكلات غياب الأب، ويقر بحدود العلم الاجتماعي بطريقة ظريفة: "بينما لا يوجد دراسة واحدة تستطيع إثبات أن غياب الأب يؤذي الأطفال (العلم الاجتماعي أكثر خطأ من الحساب) فإن الدليل على أنه يفعل ذلك وافر ومغر. وحتى بعد تضلّع الباحثين في المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية كمثل

الســـلالة والدخل، لا يزال الأطفـــال الذين يتـــربون بدون آبائهم يحصلون على علامات أقل في مقاييس الرفاه باستمرار".[12]
بالتأكيد، سيقول العالم الاجتماعي فحسب إن النمو في كل تلك المشكلات لا علاقة له بالنمو في عدد الأطفال الذين لا يملكون أحداً تحت السقف نفسه يُدعى الأب.

الميل إلى "الإهمال": الراشدون

إن أحد الأعراض الأخرى لنكراننا الثقافي هو هذا: حين نواجه بالحقيقة التجريبية بأن كثيراً من الأطفال المصابين باضطرابات ذهنية وسلوكية يأتون من أسر تعاني من مشكلات، فإن سلطاتنا تفترض روتينياً أن الأطفال وليس العائلات هم سبب تلك المشكلات رغم أن العكس يمكن أن يكون صحيحاً.

نوَّهتِ كثيرٌ من المصادر الخبيرة أن الأسر التي فيها أطفال شُخِّصوا بأنهم مصابون باضطراب المس الانقباضي، واضطراب العجز عن الانتباه، أو التوحد وإلى ما هنالك فيها نسب طلاق مرتفعة جداً.[13] وهم يربطون عموماً بين تلك الحقائق: إذا كان الطفل مصاباً باضطراب ذهني أو سلوكي يفرض توتراً خطيراً على بقية العائلة، بالتالي من المرجح أن ينفصل والداه. فتلك الطريقة في شرح الأمور يمكن أن تكون صحيحة في أي عدد من الحالات. في النهاية، بما أن الأطفال الأسوياء والأصحاء يمكن أن يوتروا

الزواج (كما يشكو دعاة المذهب النسوي وكثير من المجلات النسائية بانتظام) فإن عبء طفل من المشكلات المكثفة هو بالفعل غير قابل للتخيل من قِبل أي شخص غير مضطر لتحمله. ولكن انظروا بدقة إلى تعيين المسؤولية الذي يحدث آلياً هنا. فهو يشدد على أن الفعل الأبوي في أي شكل ليس هو المشكلة، بينما شيء ما يتعلق بالأطفال (أدمغتهم، تركيبتهم الوراثية، أو "مسائل أخرى") هي المسؤولة. ولكن ألا يمكن أن تكون الطريقة المعاكسة في تأويل تلك الصلة صحيحة أيضاً؟ هل يمكن لشيء ما عن مجموعة مضطربة من الآباء أن تكون جزءاً مما يؤثر في أنماط السلوك التي شخصت فيما بعد بأنها فصام، اضطراب العجز عن الانتباه وفرط النشاط، أو أي شيء آخر، على الأقل في بعض الأطفال؟ أن نطرح السؤال لا يعني أن ننكر أن المشكلات الذهنية توجد. فنحن نهدف فحسب إلى التحقق من الاحتمال الشائع بين الناس بأن مشكلات الأسرة يمكن أن تكون أن تُقارب من وجهتي نظر.

لا نعرف الكثير عن تأثير غياب الوالدين على الأطفال كما ينبغي. وسبب عدم معرفتنا هو أن منعنا الاجتماعي ضد طرح مسألة الوالدين يعمل كعقبة قوية أمام هذا النوع من البحث. وبالنسبة لمعرفتي المحدودة، لا أحد مطلقاً يسأل فيما إذا كانت نسبة الطلاق المرتفعة بنحو ملحوظ بين الآباء والأمهات الذين يعاني أطفالهم من هذه الاضطرابات المسماة حديثاً يعني أنهم يعانون من مشكلات تضغط على هؤلاء الأولاد، وليس العكس.[14]

وتشرح النتيجة الخانقة نفسها أيضاً الإهمال المهني لاستقصاء ذي صلة: العلاقة في عدد مهم من الحالات بين حياة منزلية مشوشة واضطراب العجز عن الانتباه واضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط. هنا، أيضاً، يجب أن يطرح الباحثون أسئلة عن البيئة لم تُطرح الآن رغم أنها واضحة لأي شخص يقرأ الأدبيات الطبية. على سبيل المثال، لقد سُجِّل أنه بالإضافة إلى أنه من المرجح جداً أن ينفصلوا، فإن آباء الأطفال المصابين باضطراب العجز عن الانتباه واضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط من المرجح أيضاً أن يكونوا مدمنين على الكحول أو مواد أخرى أكثر من الراشدين الآخرين بعامة. مرة أخرى، في الحقيقة، يقول جميع من يعالجون حقائق من هذا النوع أموراً مشابهة: امتلاك طفل يعاني من اضطراب العجز عن الانتباه وفرط النشاط هو ما يدفع الوالدين إلى سلوك كهذا.[15] يمكن أن يكون صحيحاً أيضاً في حالة مفترضة، ولكن، مرة أخرى، إن ذلك الشرح "المهمل" يجعل الطفل مسؤولاً وليس الأسرة. فالحس العام يطالب محقاً بطرح لهذا السؤال على الهواء: لماذا افتُرض آلياً أن النسبة العليا للاضطراب في هذه الأسر شيء ما يسببه الطفل للوالدين بدلاً من العكس؟

وكمثل محاولات أخرى لتجنب سؤال ما يمكن أن تفعله خيارات الراشد بمشكلات الطفل، فإن العبارة البحثية القائلة بأن "العلاقات المتبادلة لا تثبت العلة" ليست الورقة اللغوية أو الفكرية

الرابحة التي يتمناها المناصرون أن تكون. ثمة معيار مزدوج يحكم استخداماتها، يفترضُ أن ما بدأ كمبدأ فلسفي يُستخدم الآن كأداة إيديولوجية.

الوجود هناك

في النهاية، تتلاشى جميع هذه الممارسات في تجنب ما هو واضح للسبب نفسه: إنها تضللنا وتدفعنا إلى النظر إلى الأمور الخطأ. كيمياء الدماغ، أصدقاء الثانوية، الزئبق في السمك، السكر الصناعي، حجم الصف، ألعاب فيديو مثل لعبة دوم، كل هذه الأمور وأكباش فداء رمزيين آخرين يمكن أن يستحقوا دوراً في لوحة إعلانات عامة، ولكن كما تظهر المشكلات المفحوصة في هذا الكتاب مرة بعد أخرى إن ما يمرض كثيراً من الأطفال هو مباشر وأساسي أكثر من هذه الأمور. وتؤكد هذا موسيقاهم وأدبهم وكذلك البراهين الأخرى.

ما نحتاج إليه أكثر من أي دراسة طولانية أو بيان هو تركيز أكثر دقة على الحقائق قصيرة الأمد والمبتذلة للحياة، على شيء ما مثل معيار وجود راشد. ضعوا جانباً الآن جميع الأسئلة عن تأثير الوالدين طويل الأمد على الشخصية، واحتمالات الوظيفة، والتطور وغير ذلك. تبقى الحقيقة أن والداً أو راشداً آخر في المنزل يستطيع أن يساعد الأطفال في المدى القصير الحساس لسببين:

يحقق حضوره كسباً عاطفياً يومياً، وله تأثير مهم على دوافع بعض الأطفال والمراهقين. هذه هي الحقائق الشائعة التي أعتمها البحث المسعور عن مجرمين خارجيين.

إذا كنا نريد حقاً أن نتحدث عن الدليل فإن المعطيات التجريبية من أي عدد من الممارسات في العلم الاجتماعي تؤكد ما يعرفه الحس العام مسبقاً: يعمل حضور الوالدين كعنصر حام للأطفال من الطفولة المبكرة فصاعداً. ويأتي توضيح خاص درامي وحديث من دراسة لتسعة آلاف طفل أميركي نُشرت في عدد أيار 2004 من مجلة **بيدياتريكس**.(16) أظهرت تلك الدراسة اختلافاً مفاجئاً في وفيات الأطفال بين الأطفال الذين يتغذون على حليب أمهاتهم والآخرين، إذ أن الأوائل كانت نسبة وفاتهم في العام الأول من الولادة أقل بـ 20٪ من الآخرين (وهذا يعني، بحسب تقديرات المؤلفة، أن حوالي 720 من وفيات الرضع سيتم تجنبها كل عام إذا ازداد عدد الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم).

وما كان أكثر سحراً من تلك الأرقام هو تأويل هذا الاختلاف الذي قدمه الباحثون. فقد افترضوا أنه ليس كله ناجماً عن الفوائد المناعية وغيرها للحليب البشري. بعضه يُعزى إلى عامل أكثر واقعية، شيء ما يتعلق بوضوح باحتمال الحوادث الخطيرة في العام الأول من الحياة: حضور الأم. وكما عبر أحد الباحثين عن الأمر: "يمكن أن يكون شيئاً ما بسيطاً كالقرب المادي. **الأطفال الذي يرضعون من الثدي أقرب إلى الأم** (التشديد من عندنا)".

وبنحو مشابه، وعبر الانتقال في تسلسل العمر، هناك دراسة اشتُهرت كثيراً منذ بضع سنوات قام بها مجلس المستشارين القانونيين اكتشفت أن "اختلافات مهمة لوحظت بين المراهقين الذين يتناولون العشاء مع آبائهم وأمهاتهم على الأقل خمس مرات في الأسبوع والمراهقين الذين لا يفعلون ذلك". قيل إن الذين يجلسون مع الوالدين إلى المائدة يقل خطر تناولهم للكحول إلى النصف، ويقل تدخينهم نوعاً ما، ويقل خطر تعاطيهم للماريجوانا، وتقل إلى النصف محاولات الانتحار، وإلى ما هنالك. من العبث استنتاج (كما يفعل بعض المعلقين من باب الواجب) أن تناول العشاء كأسرة يقدم فوائد سحرية، سواء للمراهقين أو أي شخص آخر، ولكن من العبث بنحو مساو تجاهل المعنى الأساسي لتلك النتائج. ما تعنيه إحصاءات تناول العشاء هو أن أحداً ما - راشد مجرد حضوره في المكان يجعل بعض الأنشطة أكثر إشكالية مما ستكون عليه بطريقة أخرى - هو بالفعل هناك ليمارس نفوذاً كهذا، مهما كان مضمراً أو قصدياً.

هناك رأي رائع عن هذه النقطة المنزلية ظهر في عام 2003 في عمود صفحة الرأي في النيويورك تايمز كتبه ضابط عريق في شرطة نيويورك.[17] فيما كان يخبر عن حادثة محلية مشهورة في حلقة تزلج يؤمها المراهقون طُعن فيها أربعة أشخاص وتأذى خمسة رجال شرطة، قال: "رغم أن الدليل يوحي أن الطعن يمكن أن يربط بالعصابات، فإن السبب الضمني من المرجح أنه أكثر

تعقيداً بكثير. سيبلي أولئك الذين يحققون بالحادثة بلاء حسناً إذا وضعوا في ذهنهم أن المبدأ الأهم في التحقيق هو، كما عبر شرلوك هولمز عن الأمر: "النظر إلى ما ينبغي أن يكون هناك". بينما كنت أراقب المراهقين الصغار وهم يغادرون النادي باكراً في صباح الأحد، كان من السهل تخمين أن العنصر الغائب هو: الوالدان".

انظر إلى ما ينبغي أن يكون هناك. ليس هناك تلخيص أكثر بساطة لما نعرفه في الحقيقة أو ينبغي أن نعرفه: هناك أهمية عاطفية وسلوكية مباشرة لامتلاك معظم الأطفال والمراهقين لآباء وأمهات، مهما كانوا ناقصين، إنهم بحاجة إلى تواجدهم الحقيقي قدر الإمكان.

معرفة الأمر حين نراه

في النهاية، إن المشكلة الأعمق في الشروح الحالية لمشكلات الطفل والمراهق هي هذه: إنها تبعدنا عن دليل حواسنا. تجعلنا نعتقد أن الجواب على سؤال ما هو صحيح للطفل سيعثر عليه في مكان آخر، أحياناً، في عمود أرقام ما: أي إذا حصلنا فحسب على آخر المعطيات الطولانية المتوفرة أو المنشورة سنعرف جميعنا ما الذي نعتقده ونقرره. ولكن أي "ميتاتحليل" يستطيع أن يقيس الثغرة العاطفية في موسيقى المراهقين اليوم؟ أية معطيات نستخدم

كي نعبر عن الحزن المزمن منخفض التوتر لطفلة تشتاق إلى أمها يوماً بعد آخر؟ أية أدوات نستطيع أن نطبقها حول ما يقوله المدرسون لنا من مختلف أنحاء البلاد معتمدين على دليل حواسهم: إنهم يرون مشكلات سلوكية في الأطفال أكثر مما اعتادوا أن يروا؟ ثمة شيء ما يندفع بجنون فعلاً في التجربة الأميركية في الفصل. وكما هو مفهوم، إن بعض الراشدين، وبينهم ذوو النوايا الحسنة والناس المسؤولون المتأثرون بالحديث الإيديولوجي السعيد للعقود القليلة الماضية، لا يريدون في الحقيقة أن يواجهوها. مع ذلك، حتى الأكليشيهات عن الأطفال التي تُردد دون تفكير هذه الأيام تفضح لعبة قتل الحواس.

نقول إن **الأطفال مرنون**، ولكن ما نعنيه هو أننا يجب ألا نقلق عليهم كما ينبغي أن نقلق. نقول **يحتاج هذا الطفل إلى قرية كي تربيّه**، متجاهلين حقيقة أنه في أية قرية حقيقية يمتلك هذا الفتى راشدين آخرين داعمين، تجمعه بكثير منهم صلة قربى؛ فهم يشكلون إضافة إلى أمه ووالده، وليسوا بدائل لهما. نقول إن المراهقين متمردون، ولكن ما نعنيه أنه يجب أن يكون هناك بعض الشروح الكامنة فيهم والمبرئة للوالدين لعدم رؤية ولدنا المراهق بدون السماعة أو بعيداً عن الكمبيوتر لعدة أسابيع.

إننا جيدون في اتهام أي شيء ـ PCBs، اللقاحات، الهرمونات، الإعلان، الشركات، التسلية، التلفاز، الإنترنت، كيمياء الدماغ ـ

ونستخرج منها شرحاً ما كبيراً يستطيع الراشدون الاختباء خلفه. نقول، "انظروا هناك! انظروا هناك! ما نعنيه هو: "انظر إلى مكان غير هذا". هذا هو المعيار الذي يحكم عالمنا الذي يكون فيه الطفل وحيداً في المنزل، وهو متواصل بسبب تعبئة جدية.

~ ~ ~ ✎

obeikandl.com

obeikandl.com

خاتمة

وهكذا نأتي بشكل محتم إلى السؤال الذي طُرح بطريقة أو أخرى من قبل المشكلات المشرّحة في هذه الصفحات: ما العمل؟

ما الذي، على سبيل المثال، سنفعله حيال عيوب الرعاية النهارية في عالم يضطر فيه بعض الناس لاستخدامها؟ إذا لم تكن المداواة هي الجواب لجميع أولئك الأطفال الحزينين والساخطين، فما هو؟ ما الذي يمكن أن يخفض نسبة الأمراض المنقولة بواسطة الجنس: برامج التقشف، أو المزيد من دروس الجنس الأفضل؟ وماذا عن طلاب المدرسة الابتدائية غير المتحضرين الذين يبلغ عنهم المدرسون؟ ألن تساعد حجوم الصفوف الأصغر أو ربما المزيد من المدارس الخاصة؟ باختصار، كي نعبر عن الفكرة بشكل عام، إذا

obeikandl.com

فلتت تجربتنا في الفصل بين الوالدين والطفل من عقالها، ما الذي سنفعله بالتحديد الآن؟

على عكس كثير من المعالجات الأخرى للمشكلات الاجتماعية، فإن هذه المشكلة لا تنتهي بأجوبة سريعة على هذه وعلى أسئلة أخرى مسجلة ومنقطة بنقط سوداء للفت الانتباه. ببساطة ليس كتابي من هذا النوع. هذا لا يعني القول أن المجادلات حول قانون الإجازة الصحية للأسرة، أو استحقاقات الضريبية أو الكفلاء أو "معالجات" سياسة أخرى ليست مهمة. إنها مهمة، فهذه الصفحات تعالج، على أي حال، بنحو ضمني، بعض تلك المناقشات السياسية.[1] في النهاية، لا يُمكن الحكم على هذه المجادلات بواسطة الأدلة المتراكمة هنا لأن هذه الأدلة هي عن شيء مختلف: تجربتنا الجذرية القائمة في الفصل بين الطفل والوالدين، وهي تجربة لا تشجعها كثيراً السياسات بقدر ما تشجعها القوى العنيدة للأفكار، والاتجاهات الفكرية، والآراء المتعصبة.

بتعبير آخر، وعلى حساب المجازفة بجعل بعض القراء ساخطين، تفتقر هذه الخاتمة كثيراً إلى حلول نهائية. أقول ببعض الريبة؛ جميعنا نريد نهايات سعيدة لقصصنا حتى حين نشتبه أنه لن تأتي أية واحدة. ولكن كما يظهر دليل هذه الصفحات، ليس هناك حلول سريعة للنقص المزمن لانتباه الوالدين الذي هو الآن العرف لكثير من الأطفال الأميركيين. التظاهر بعكس ذلك يؤذي لأنه يؤدي إلى حرف انتباهنا عن جدية مشكلاتهم.

مع ذلك توحي مراجعتنا للدليل بنوع آخر من الجواب عن سؤال ما العمل. تماماً كما الأفكار هي جزء مما أدخلنا في تلك المشكلات، هناك حاجة إلى تغير في الأفكار للخروج منها. ما يوحي به هذا التقصي لمشكلات الطفل والمراهق بقوة هو التالي: نحتاج إلى مجموعة من الأفكار المختلفة كي نقيس ونمارس التربية. ونحتاج بخاصة إلى معيار أفضل وأعلى نحكم به على المزاعم الأخلاقية للأطفال والمراهقين ضد العالم الراشد، وإلى المزيد من الفهم الإنساني لذلك التوازن أكثر من ذلك الذي انحدرنا إليه.

كيف يمكن أن يبدو هذا المعيار الأفضل؟ لا شيء تقريباً أكثر من تغير للقلب الاجتماعي، إجماع عام جديد: **سيكون من الأفضل لكل من الأطفال والراشدين لو كان المزيد من الآباء والأمهات الأميركيون مع أولادهم لمزيد من الوقت.** هذا يعني، سيكون من الأفضل لو أن المزيد من الأمهات اللواتي يقمن بخيار حقيقي في المسألة يبقين في المنزل أو يعملن عملاً جزئياً بدلاً من وقت كامل ولو أن المزيد من الآباء والأمهات الذين يتمتعون بالانفصال أو الطلاق يبقون سوية من أجل أطفالهم.

وبالتأكيد، إن الحصول على المزيد من الراشدين في المباني والمنازل سيكون تحسيناً اجتماعياً وعاطفياً لموقف اليوم من وجهة نظر أطفال ومراهقي اليوم، كما توضح تعبيراتهم الواضحة. هذا هو الإجماع الحقيقي حول الوالدين والأطفال الذي صرنا بحاجة إليه. لا نحتاج إلى المزيد من الدعوات لرعاية نهارية كونية

ومعالجات هازمة للذات تهدف إلى المزيد من الفصل بين الطفل ووالديه، وإنما بالأحرى، نحتاج إلى تبني معيار أعلى يقر بما لم يُقر به لوقت طويل: فوائد زيادة عدد المنازل السليمة التي يشرف عليها الوالدان.

كيف يمكن أن تحدث عملية إعادة تغيير للرأي رئيسة؟ إن الجواب، نظرياً وعملياً، عميق بحيث لا يمكن سبره هنا بنحو كامل، ولكنني سأحاول على الأقل أن ألقي ضوءاً على أكثر متطلباته وضوحاً.

لنبدأ بالنقطة الأكثر تجريدية: نحتاج إلى فهم عام مُعدّل حول الكلمة الأكثر مقتاً في قاموس الوالدين: **الخطيئة**. طوال سنوات الآن، تم تأويل ظاهرة الخطيئة الأبوية بطريقة واحدة تفتقر للعمق: ورقة لعب رابحة تُرمى كلما ربطت الأنباء السيئة حول الأطفال الأميركيين بغياب الوالدين. فتلك الطريقة في استخدام الخطيئة شجعت على التحجر الواسع للعالم الراشد. وحين تقوم هذه اللغة الانعكاسية بخدمة إيقاف النقاش حين تكون هناك حاجة كي يبدأ فإنها تعتمُ عدة نقاط أخرى أكثر أهمية.

إحدى هذه النقاط هي أنه حين لا نستطيع الخيار بطريقة أخرى، فإننا لا نملك أي شيء نشعر بالخطيئة حياله. ورغم أنه هذا يمكن أن يبدو ملاحظة أولية ـ أنه ليس هناك خطيئة هادفة دون حرية تجعلها ممكنة ـ فهي واحدة يهملها نقاشنا الحالي لتنشئة

obeikandi.com

الطفل بنحو مألوف. فالأم الوحيدة التي تعمل لأنها مضطرة إلى ذلك، والأب الذي يتحمل انتقالاً طويلاً كي يجمع النقود لرسوم التعليم في المدرسة الكاثوليكية لأن المدرسة العامة مقرفة، والمنظفة المتزوجة من مساعد النادل الذي يعمل فقط كي يدفع أجر المنزل، هؤلاء الممثلون ليسوا جزءاً من مسرحية الخطيئة كما صارت تُمثل لأنهم يفعلون ما يجب أن يفعلوه. بتعبير آخر، حين يشكو النقاد من أن الأنباء السيئة تضيف فحسب إلى حمل الخطيئة الأبوية، فإنهم لا يتحدثون عن تجربة جميع الآباء، وإنما بالأحرى عن مجموعة فرعية من الآباء الذين يتمتعون بذلك الأمر الذي بدونه ليس للخطيئة معنى: الخيار الهادف.

حسناً، ماذا عن أولئك الآباء الذين لديهم خيار؟ في ظل فهمنا الحالي الذي يلهمه الفصل لما يُسمح للأطفال بأن يحتاجوا إليه، ليس من المفترض أن نطرح السؤال. مع ذلك إن طرحه هو نقطة مهمة: ربما مواصلة الشكاوى حول الخطيئة التي تشعر بها الأمهات الغائبات تقول أكثر مما نعتقد أنها تفعل: إن أولئك الأمهات يحتجن إلى أن يمضين المزيد من الوقت مع أولادهن سواء أيّين تجربة الانفصال أم لا.[2] ربما شعورهن المعلن عنه جيداً بالخطيئة هو برهان آخر على التجربة الاجتماعية التي فلتت من عقالها.

كي نعبر عن المشكلة بنحو مباشر أكثر يمكن أن يتساءل بعض القراء إن كانوا قد ظلوا خارج البيت كثيراً ويمكن حتى أن يشعروا بوخز الخطيئة المألوف لجميع الآباء الذين يقومون بمسؤولياتهم

بجدية. إن أي أم أو أب حقيقيين يعرفان ذلك الشعور غيباً؛ في النهاية، أن تكون والداً هو أن تقوم بعدد لانهائي من القرارات لصالح ابنك يوماً بعد يوم، أي واحد منها يمكن أن يكون خاطئاً وكثير منها ـ للتعبير عن ملاحظة شخصية ـ سيكون خاطئاً. ولكن هل في الحقيقة الشيء الأسوأ في العالم للأمهات والآباء أن يشعروا بأمور كهذه؟ بالتأكيد سيكون أسوأ للأطفال إن لم يفعلوا.

هناك أمور حتى أكثر أهمية حول الخطيئة مهما حاولنا الهرب منها، وهي أمور مهمة بحيث لا نستطيع القفز فوق تلك الحساسيات. المشكلات المفحوصة في هذا الكتاب ـ مشكلات إما لم توجد منذ جيل أو لم توجد بهذه الأشكال المتطرفة اليوم ـ هي بعض الأمثلة فحسب. لماذا نتحدث بصراحة عن موضوع مثل سمنة الطفل حين كثير من الراشدين يمكن أن يجدوه مربكاً أو مسيئاً؟ لأن مشكلة السمنة، المتصلة بقوة بالمنزل الذي يغيب عنه الوالدان، تضعف ملايين الأطفال جسدياً وعاطفياً. لماذا نلفت الانتباه إلى المعطيات السيئة حول الرعاية النهارية حين تصفق بعض الأسر المضطرة إلى الاعتماد على المؤسسات لفوائدها؟ لأن الأطفال والصغار المتأثرين بنحو عكسي من الرعاية النهارية، والصغار جداً بحيث لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم، يستحقون مناصرين، أيضاً. لماذا التشديد على الصلة بين الوالدين الغائبين وجنس المراهقين حين كانت نسب حمل المراهقين تتناقص في العامين السابقين؟ لأن بعض الأمراض التي يصاب بها الأطفال الخاضعون

للإشراف، وخاصة الفتيات، ستفسد حياتهن، وتقضي على خصوبتهن، وتصيبهن ربما بسرطانات لا تعالج.

ولكن انتظري، يمكن أن يقول القارئ المتشكك. كيف يمكن أن تقولي إن الآباء في أميركا يحتاجون إلى أن يكونوا أكثر انتباهاً إلى أولادهم فيما نحن نعيش في أكثر المجتمعات انشغالاً بالأطفال على الأرض؟ أليس صحيحاً أن الآباء اليوم يشعرون بالمزيد من القلق وينفقون المزيد من النقود على تنشئة الأطفال أكثر من قبل؟ من الرفوف المليئة بالمجلدات الكبيرة حول التربية إلى الألعاب الثقافية الأكثر تكلفة إلى كل اختبارات التحضير المقيّسة والأشكال الأخرى من إغناء الأطفال؟

الجواب هو نعم. لقد تزامنت تجربة الفصل بالفعل مع الاستهلاك، وأدت في الحقيقة إلى ارتفاعه لدى الآباء والأمهات المعاصرين. ولكن تلك الظاهرة نفسها هي فقط أحد أعراض ما يمرضنا. كل تلك الألعاب التي تبغي النجاح، كل تلك النشرات والكتيبات، هي مواد بديلة جزئية. نشتري المزيد من الكتب كي تخبرنا كيف نربي أولادنا بدلاً من الجلوس على الأرض معهم كثيراً وتخمين ذلك بمفردنا. نشتري الأدوات الإلكترونية كي نبدأ تطورهم لأننا، بوعي أو دون وعي، ندرك أننا لسنا موجودين بما يكفي كي نقوم بالخدعة. إن عمق عصبيتنا يجعلنا نبتعد، مما يشير إلى ما لاحظه كثير من المعلقين، وأعني، كم أصبحت تنشئة الطفل الأميركي غير متوازنة سيكولوجياً.(3)

مع ذلك، نقاوم فهم ما يؤدي إلى زيادة الخلل، عاكفين كما نحن على التخلص من الخطيئة بدلاً من تأمل ما تقوله لنا، والذي هو جوهر هذا الكتاب. فهناك آباء كثيرون غائبون من منازل كثيرة، وبالإضافة إلى الضريبة التي يسببها هذا للأطفال، يستطيع المرء أن يميز أيضاً ضريبة سيكولوجية معينة تُفرض على كثير من الراشدين. إذا كان النفاق هو الثناء الذي تقدمه الفضيلة للرذيلة، فإن الإفراط في القلق هو الثناء الذي تقدمه ضمائر كثير من آباء وأمهات اليوم للغياب.

يمكن أن يعتقد بعض القراء الآن أن هذا **عادل بما يكفي**. ربما نحتاج إلى فحص فكري دقيق في أقسام معينة، ولكن هذه نقطة في غاية التجريد بحيث لا نستطيع البقاء فيها. ماذا عن واحدة مباشرة أكثر؟ كيف يمكن أن تقود حركة اجتماعية جديدة إلى معيار جديد من التنشئة بقرارات أمهات وآباء حقيقيين يعملون في عالم واقعي، معقد وصعب؟

كما ذكرتُ في البداية، ليس هذا الكتاب عما اختار أن يفعله أي من الوالدين أو الأسر. كيف يمكن أن يكون؟ الأفراد فحسب يمتلكون المعلومات عن حياتهم الخاصة كي يعرفوا ما هم أحرار أو غير أحرار كي يقرروه. يعرفون فحسب أية مقايضات وضغوط تصوغ مواقفهم المحلية؟ هل تستطيع أم مسؤولة أيضاً عن والدين

معـوزين أن تبقـى في المنزل مع طفلهـا؟ هي التي تعرف، كونهـا في الموقـف، ولسـتُ أنا، ولا القــارئ، ولا أي منظِّر يجلس على كــرسي بذراعين. في الحقيقة ليس هناك جواب،" يناسب الجميع" هنا.

هكذا، إن الجواب على سؤال ما يأتي بالتالي ليس بسيطاً مثل: "كل الأمهـات يجب أن يبقين في المنزل"، أو: "يجب أن يُجبـر الآباء والأمهات البيولوجيون على العيش سوية إلى أن يكبر أولادهم".[4] ليس عمل الأم خارج المنزل دائماً وفي جميع الأمكنة سيئاً للأطفال؛ فكثير من الأمهات مضطرات للعمل؛ ويعتمد هذا كثيراً على إن كان الأب أو أعضاء آخرون من الأسرة موجودين؛ بالإضافة إلى ذلك، لا يشكل وجود الأم في المنزل ضمـاناً لنجاح تنشئـة الطفل.[5] أيضـاً، بعض الأزواج يصلون إلى نقطة يكرهون فيها رؤية بعضهم ويكونون أكثر سعادة إذا عاشوا منفصلين (مسألة مختلفة عن كيف يشعر أبناؤهم حيال الأمر). فأي عدد من حقائق الحياة الأخرى يؤثر في هذه الأنواع من القرارات، أيضـاً، كمـثل حضـور أو غيـاب أعضـاء آخرين من الأسرة، مواهب طفل معين أو مشكلاته، طلبات المدرسة، كسب النقود الذي يعني الفرق بين مدرسة فقيرة أو حارة أو واحدة أظرف وأكثر أماناً.

ولكنه أيضاً من الصحيح، كما رأينا، أنه من وجهة نظر كثير من الأطفـال والمراهقين، ليس هناك مـا يكفي من الكبـار ـ الآباء والأمهات المنتبهون والمربون ـ حولهم، وهـذه الحقيقة تقتضي موقعاً في النقاش الاجتماعي، ســواء جعلت بعض الراشــدين مرتـاحين

أم لا. نحتاج جميعنا إلى أن نتراجع عن قصصنا وحالاتنا الخاصة، رغم أننا نجد أنفسنا آسرين دون شك، ونعود إلى الصيغة التي وُزنت هنا. إنها ليست عن القصص بل عن الدليل والحجة: **نحتاج إلى استبدال عائقنا الأخلاقي الحالي الوضيع بخصوص التربية بمعيار أكثر إنسانية مقرين أن الأفراد والمجتمع سيكونون أفضل لو أمضى المزيد من الآباء والأمهات الوقت مع الأطفال.**

لا تقتضي هذه الفرضية أن أية أسرة معينة أو أي فرد يختار طريقة بدلاً من الأخرى (المستنقع الإيديولوجي الذي تبقى مقيدة إليه "حروب الأم" وحروب الرعاية النهارية") بالأحرى، تدعو إلى شيء آخر: تحريك البندول الاجتماعي الذي سيستفيد منه المجتمع كله. وفي الحقيقة، حتى الوالدان غير القادرين أو غير الراغبين بإمضاء المزيد من الوقت مع أطفالهم يستطيعون الدفاع عن فكرة أننا نحتاج إلى هذه الطريقة الجديدة في النظر إلى الأمور لأن امتلاك المزيد من الآباء والأمهات في المنزل يفيد الجميع كما تقول فصول هذا الكتاب بطريقة أو أخرى.

إن ما تتحدث عنه هذه الصفحات هو الصلة التجريبية المفقودة بين طفل اليوم الفريد ومشكلات المراهقة والإجماع العام الجديد الذي نحتاج إليه كي نمنع المزيد من الضرر. هكذا، على سبيل المثال، يمكن ألا تكونوا قادرين على تجنب مهنة تتطلب الوقت الكامل، ولكنكم ستكونون في حال أفضل، وكذلك أولادكم، لو كان هناك المزيد من الآباء والأمهات موجودين كي يعرفوا ما يفعله

الأبناء، لو كان هناك المزيد "من الأعين على الشارع" بكل المعاني، كما عبر عن ذلك إهرنهلت. وبنحو مشابه، يمكن ألا أكون موجودة بعد المدرسة حين تذهب ابنتي المراهقة إلى بيت صديقها، ولكن لو كان لذلك الصديق أم أو أب أو جد أو راشد آخر في المنزل، لصارت محدودة احتمالات تناول الكحول، أو إدمان المخدرات أو الإصابة بشيء ما مريع من خلال الجنس، حتى لو في ساعات الأصيل وحتى إذا لم أكن أنا موجودة شخصياً كي أقلل منها. إن النقطة هي أن شخصاً ما هناك أمر جيد لي سواء كنت أشارك في الجهد أم لا.

وبنحو مشابه، يمكن ألا يستثنى ابن جيرانكم من طلاق والديه، ولكن ألن يكون من الأفضل له لو أن آباء آخرين في الحي لم يكونوا بنحو مشابه خارج الصورة، لو بضعة منهم فحسب كانوا موجودين كي يساعدوا في إصلاح المشكلة التي خلفها أولئك الغائبون؟ يمكن أن يعني هذا عدداً أقل من الأطفال "يلعبون الكرة وحدهم"، كما في صورة توباك شكور المريعة عن الولد الذي بلا أب. وبالطريقة ذاتها، يمكن أن لا يستطيع والد جون، الذي يعيش على بعد ولايتين، أن يدرّب فريق القدم المحلي لأسباب واضحة، ولكن إذا كان والد صديقه أو أمه يستطيع، لو أن واحداً أو آخر يمكن أن يضحي بترك العمل باكراً يومين في الأسبوع، لكانت تلك التضحية جيدة ليس لابنهم فحسب ولكن أيضاً لجون وأسرته.

توضح هذه الأمثلة المتواضعة أن إصلاح هذه الأمور سيفيد كثيراً من الناس بالإضافة إلى السلالة المنخرطة مباشرة، كما لو كان هناك ما يكفي من المرافقين لرحلة مدرسية إلى المتحف. فوجود كثير من الراشدين في الملاعب المدينية وتلك الخاصة بالضواحي في أواخر بعد الظهر سيعني المزيد من الأطفال الذين هم أحرار للقيام بشيء ما بالإضافة إلى الجلوس أمام شاشة بعد المدرسة، ومزيد من الأطفال الذين يستطيعون الذهاب إلى منزل شخص آخر بعد المدرسة - وبينهم منازل أصدقاء فيها جسم راشد دافئ موجود أثناء تلك الساعات - ويمكن أن يؤدي هذا إلى التقليل من عدد الأطفال الذين يتم إرسالهم إلى المؤسسات ويجعلهم أكثر سعادة نتيجة لذلك.[6] في ملايين من الطرق الصغيرة ولكن المتشابكة، يستفيد الأطفال بعامة من ازدياد في عدد الراشدين الذين في المشهد، سواء كان آباؤهم موجودين أم لا.

بتعبير آخر، تماماً، كما يتردد صدى غياب الوالدين واسع الانتشار كي يخلق المشكلات الضخمة من النوع الموصوف في هذا الكتاب، فإن المزيد من حضور الآباء والأمهات في مشهد الطفل والمراهق سوف يخفف بعض النتائج السلبية. فضلاً عن ذلك، ستمتد هذه الأصداء إلى ما وراء العالم المباشر للملاعب وغرف الصفوف، إلى بعض الأمكنة العالية جداً التي تمت زيارتها في هذه الصفحات، وبينها الطب وعلم النفس. ذلك أن حضور المزيد من الراشدين وعنايتهم بالأطفال يمكن أن يزيد من عاطفة الراشدين

وحساسيتهم لما هو سوي لمجموعات عمرية متنوعة. فتجربة الراشدين المعززة هذه يمكن بدورها أن تخفض بعض الحاجة لمعالجة ومداواة الأطفال من أجل سلوكهم، مرة أخرى، حتى ولو لم يكن جميع الآباء والأمهات قادرين على المشاركة في إعادة رسم الخطوط.

لا يعني هذا القول، بالطبع، أن جميع المشكلات المناقشة في هذه الصفحات ستُخفف لو أن المزيد من الراشدين عادوا إلى حياة الأطفال. فمشكلة الوظيفة المنزلية، على سبيل المثال، تظل أبدية. أما أولئك الأطفال الذين لديهم آباء وأمهات كي يساعدوهم ويدعموهم فسيستفيدون، والذين لا يملكون، سيعرقلون الأكثر طموحاً واندفاعاً، وسيبقون في الخلف. وبنحو مشابه، إن الاضطراب العاطفي الذي يسببه الطلاق والأمومة غير المرتبطة بالزواج في كثير من الأطفال ـ والحاضر بقوة في موسيقاهم، كما رأينا ـ هو فقط ما هو: بالنسبة للكثيرين وربما لمعظمهم، تجربة مخيفة وغير مرغوبة بشكل عميق، بغض النظر عما يشعر به وما يقوله عنها الكبار في عالمهم.

وحتى هكذا، يجب أن نركز على حقيقة أن تبني نسخة أقل تطرفاً من تجربة اليوم في الفصل سيفيد كثيراً من الناس وبخاصة كثيراً من الأطفال، سواء كان آباؤهم قادرين على التواجد أم لا. بالتأكيد هذا أمر يتفق معه الراشدون العاقلون في كل مكان، مهما كنا نحمل معنا من الهواجس الشخصية أو الشكوك.

obeikandl.com

حاولت حتى الآن أن ألقي ضوءاً على ما يمكن أن تقتضيه إعادة ترتيب مهمة للرأي، ولكن ماذا عن سؤال جوهري آخر: هل هذا التغير الاجتماعي نحو معيار أكثر فائدة للطفل ممكن مفترضين الحقائق المعطاة لعالمنا؟

يعتمد الجواب على مصير الاتجاهات الأعمق الملخصة في بداية هذا الكتاب: الطلاق/ اللاشرعية (مشكلة الأب الغائب)، وظيفة الأم (مشكلة الأم الغائبة) ويعتمد كذلك على مسألة صغيرة لا تزال مهمة، وهي غياب الكثير من الأقرباء. في الحالتين الأوليين، على الأقل، يمكن أن تكون قصة الأنباء السيئة لهذا الكتاب مخففة باستطلاعات حديثة ولكنها آملة. وبما أن نسب اليوم المرتفعة من تفكك الأسرة وغياب الوالدين، وغيرها تواصل تحصيل ضريبتها، فهناك دلائل تعديلية جدية قائمة. فعلى مستوى البحث والصحافة، على الأقل، يبدو أن هناك إعادة تقييم حقيقية قائمة لما يمكن أن يُدعى الأسباب الأصلية لحياة الأسرة.

فكروا بمثال الطلاق والأبوة غير المرتبطة بالزواج. فالأنباء عن الوالدين الغائبين هي في الحقيقة سيئة جداً، أكثر سوءاً مما استعرضناه. ويعني تواجد الأب خارج المنزل، بالنسبة لكثير من الأطفال، أيضاً وجوده خارج حياتهم تماماً. ويقول الباحثون: إن نصف جميع الأطفال الذين لا يسكنون مع والدهم لم يكونوا أبداً في منزل ذلك الأب؛ وقد أظهرت الدراسات أيضاً أن نسبة مئوية

ضخمة من أطفال الطلاق ـ تقريباً الثلث ـ لم يشاهدوا والدهم البيولوجي في العام السابق.

ليس الآباء هم الأشخاص المسؤولون دوماً عن تفكك الأسرة، بالطبع. فقد قيلَ إن النساء من المرجح الآن أن يبدأن بالطلاق أكثر من الرجل. ولكن بغض النظر عمن يبدأ فإن الطلاق/ الانفصال دوما يؤدي إلى سكن الأب في مكان ما وقلة رؤيته لأطفاله عاماً بعد آخر. سيواجه كثير من الأطفال هذه النتيجة في نقطة ما في أعوام نموهم، وسيعيش عدد متصاعد أيضاً مع والدين غير متزوجين.

مع ذلك، هناك أدلة في كل من الأجواء الفكرية والعملية، على أن عدداً متزايداً من المراقبين مرتاح لهذا الموقف. لنبدأ بمسألة النظرية، هناك حقيقة واضحة: فهم اليوم، كما لم يكن الأمر هكذا منذ عشر سنوات، "عدم توفر الأب" على أنه ليس مسألة اجتماعية أخرى فحسب وإنما كذلك مشكلة خطيرة وحقيقية مؤذية لكثير من الأطفال والمراهقين. فالمحافظون والليبراليون، الجمهوريون والديموقراطيون على حد سواء يتفقون بنحو كبير على أن كثيراً من الأطفال الذين يترعرعون دون آباء يشكلون مشكلة اجتماعية من المرتبة الأولى. الإجماع جديد.

فضلاً عن ذلك، كان هناك انخفاض ملازم في نسب الطلاق في الأعوام القليلة الماضية، وهذه حقيقة يعتقد كثير من الباحثين المهمين في الأسرة الأميركية أنها مهمة.[7] ربما هذا التغير

الإحصائي ـ قليل ولكنه يتحرك نحو الأسفل وليس نحو الأعلى ـ يعكس انبعاث فكرة قديمة: أن الأمهات والآباء، يعرقلون حالات الاستغلال الفادحة، ويجب أن يكافحوا لجعل الزواج يعمل من "أجل الأطفال". وفي العقدين الأخيرين استُخدمت تلك الكلمات بنحو ساخر، هذا إذا استُخدمت. أما اليوم فتُستخدم بجدية بتردد متزايد. وهذا أيضاً تغير إيجابي، ولو رمزياً فحسب.

فضلاً عن ذلك، إن الكتابة والتفكير التعديلي الأخير عن انفصال الأم عن الأولاد، وخاصة الصغار، يمكن أن تبشر بتغير حقيقي في الرأي في أسفل الطريق الاجتماعي. وكما توحي الأدبيات الحالية المذكورة في مكان آخر، إن المزيد من النساء اللواتي في حال أفضل جعلن مؤخراً البقاء في المنزل في بعض أو كل سنوات نمو أولادهن مسألة عامة. مرة أخرى، إن هذا التغير في الرأي مترافق مع انخفاض إحصائي، ضئيل لكنه حقيقي، في نسبة النساء الأفضل حالاً في قوة العمل لوقت كامل. وكما يعرف الجميع، هناك الكثير من الهيام الذي يسود حيال مسألة الأمهات اللائي يواصلن أعمالاً ومهناً في الخارج. وسوف يبقى دوماً لأن الأمهات، حتى اللواتي يعلمن أنهن متحزبات لتجربة الفصل، يشعرن بصراع عاطفي حيال انفصالهن عن أطفالهن، وخاصة حين يكونون صغاراً. مع ذلك، من وجهة نظر الأطفال، بالمقارنة، إن المزيد من الوقت الذي يُقضى في رفقة أمهاتهم هو إضافة عاطفية كبيرة بنحو لا يُنكر.

وهكذا تقترح أحداث الأعوام الماضية عدة أسس للتفاؤل الحذر نظرياً وواقعياً: ربما الدليل الأول على ما يمكن أن يبرهن فيما بعد على أنه تغير اجتماعي نحو الأفضل.

لدى تأمل المصير النهائي لتجربة الفصل يجب أن ندرك أنه ليس هناك شيء ثابت في النسب الحالية المرتفعة للأطفال الغربيين المنفصلين والموضوعين في الرعاية المؤسساتية. صحيح، كما يلاحظ الجبريون بيننا غالباً، أن عفاريت الحداثة لن يعودوا إلى زجاجاتهم، ولكن صحيح أيضاً أننا نحن الغربيين، رجالاً ونساء، لسنا ضحايا يائسة للآليات التاريخية التي هي خارج نطاق سيطرتنا. فالناس يغيرون أفكارهم عن التجارب الاجتماعية وغيرها، أو كما يقول علماء الاجتماع: "يعيدون تأسيس العرف" طوال الوقت. وربما كانت تجربة الفصل هذه الخاصة بنا، التي تخالف، لا التاريخ فحسب وإنما ما نعرفه عن الطبيعة البشرية، ستبرهن في النهاية أنها غير مرضية ليس للأطفال فحسب وإنما لجمهور مهم من الراشدين الغربيين كذلك.

وإذا ما اعترفنا بجوهر الحقيقة في عقدين من مناصرة التجربة، بوسعنا القول أن الأطفال لا يستطيعون دوماً أن يحصلوا على ما يريدونه. هذه بالفعل حقيقة حياة. ولكن حين نصلّب موقفنا ضد سؤال متى يجب أن يحصلوا بنحو صائب، فإننا نفقد شيئاً

مهماً حولهم وحول أنفسنا: المقياس الأكثر أهمية لأي مجتمع ليس هو المعيار الذي يضعه أعضاؤه الأقوى لأنفسهم، وإنما بالأحرى، أين يثبتون الحاجز الأخلاقي للأضعف. في النهاية يشكل هذا الكتاب محاولة متواضعة لرفع تلك العقبة، لمعالجة بعض الخلل في النقاش حتى الآن، ولمنح الراشدين الذين لديهم خيارات بعض الأدلة والحجج حول هذا الخلل، التي لا يمكن أن يحصلوا عليها بطريقة أخرى.

✎ ~ ~ ~

openkandil.com

هوامش

المقدمة

1- مثلاً، سوزتن فالودي (الحركة الارتجاعية، 1991)، جون بيترز (حين تعمل الأمهات، 1997)، سوزان سيرا (مكان أم، 1998)، آن جرتندن (ثمن الأمومة، 2001)، وسوزان جي. دوغلاس وميريديث دبليو. مايكل (أسطورة الأم، 2004).

2- مثلاً، كتاب كارولين جراجليا الهدوء المحلي (1998)، دانييل جرتندن، ما لم تقله لنا أمهاتنا (1999)، وندي شاليت، العودة إلى الوقار (1999)، وسوزان فنكر سبع أساطير للأمهات العاملات (2004).

3- وتشتمل هذه على كتاب دافني دي مارنف رغبة أمومية ومقالات كثيرة تناقش الموضوع نفسه، بينها مقال ليزا بلكين في النيويورك تايمز ماجازين الذي كان موضوع الغلاف في 26 تشرين أول 2004 ونوقش كثيراً ومجلة التايم في 22 آذار 2004، قصة الغلاف حول "قضية البقاء في المنزل".

4- انظر مثلاً رواية أليسون بيرسون الرمزية التي حققت أفضل المبيعات، لا أعرف كيف تفعل ذلك. حتى في رواية أخرى حققت أفضل المبيعات لم تُرو من وجهة نظر الأم، يوميات المربية لإيما

obeikandl.com

مكلولين ونيكولا كراوس، يبقى المنظور للمربية الأنثى الراشدة بدلاً من أية شخصية أخرى.

5- وليم دامون، التوقعات الأعظم: التغلب على ثقافة الانغماس في مدارس ومنازل أميركا (نيويورك، فري برس، 1995، ص 7. ملخص الحدث، قياس سعادة الأطفال: مؤشر جديد

6- "مؤسسة بروكينكز"، 24 آذار، 2004.

7- آلن إهرنهلت، المدينة المفقودة: الفضائل المنسية للجماعة في أميركا (نيويورك، بيسك بوكس، 1995).

الفصل الأول

المشكلة الحقيقية للرعاية النهارية

1- جون كي. بيترز، حين تعمل الأمهات: محبة أولادنا دون التضحية بأنفسنا (ريدنك، إم إي، برسيوس بوكس، 1998)، ص 3-4.

2- بريان سي. روبرترسون، خداع الرعاية النهارية: ما لا تقوله لنا مؤسسة رعاية الأطفال (سان فرنسيسكو، إنكاونتر بوكس، 2003).

3- برايس كرستنسن،" منزل يبنيه هوبز"، في أزمة رعاية الأطفال وعلاجاتها، فاميلي، مجلة بوليسي ريفيو (خريف 2003).

4- انظر، على سبيل المثال، آلن كارلسون "الحلم المفتت للتنشئة الاجتماعية الأبوية"، المصدر نفسه.

5- مقتبس في كاثلين كري، "أمراض الأذن لدى الأطفال المتفشية في البلاد" لكسنغتون هيرالد ـ ليدر، تشرين الثاني، 1993.

6- روبرت إي. هوكلمان، "الرعاية النهارية: ماي دي ماي دي!" حوليات طب الأطفال 20 (1991): 403. وكما أشارت الافتتاحية، ليس الأطفال في مراكز كهذه فحسب وإنما أمهاتهم الحوامل، والمشرفات

على رعايتهم النهارية الحوامل هم المعرضات للخطر كذلك. في حالة النساء الحوامل، أمراض جنين وولادة جنين ميت.

7- جودي هيمان، الفجوة المتسعة: لماذا عائلات أميركا العاملة في خطر. وماذا يمكن فعله حيال ذلك (نيويورك؛ بيسك بوكس، 2000)، ص 61.

8- المرجع نفسه، ص 62.

9- آرلي رسل هوتتشيلد، رباط الوقت: حين يصبح العمل منزلاً والمنزل عملاً (نيويورك: متروبوليتان بوكس، 1997).

10- شبكة البحث للرعاية المبكرة بالأطفال، "رعاية الأطفال والتفاعل بين الأم والطفل في السنوات الثلاث الأولى من الحياة"، دفيليبمنتال سايكولوجي (مجلة علم النفس النمائي) 35 (1999): 1399- 1413. انظر أيضاً نقاش بلسكي لهذه الدراسة في "العلم المسيس للرعاية النهارية"، مجلة فاميلي بوليسي ريفيو (خريف 2003).

11- المؤسسة القومية لصحة الطفل والتنمية البشرية، شبكة البحث للرعاية المبكرة بالأطفال،" هل كمية الوقت المنفقة في رعاية الطفل تتنبأ بتكيف اجتماعي واقتصادي أثناء التحول إلى روضة الأطفال؟" تشايلد ديفيلمبنت (تموز/ آب 2003).

12- روبرت كارن، أن تصير مرتبطاً: العلاقات الأولى وكيف تصوغ قدرتنا على الحب (نيويورك، مطبعة جامعة أكسفورد، 1994)، الفصل 22،" غضب في بيت الحضانة: حروب الرعاية النهارية للرضيع". انظر أيضاً جي بلسكي، "العلم المسيس للرعاية النهارية، في أزمة رعاية الطفل وعلاجاتها، فاميلي بوليسي ريفيو1، (خريف 2003).

13- روبرتسون، خداع الرعاية النهارية، ص79.

14- كاثي توت وآخرون "العلاقات المتبادلة للسلوك الاجتماعي لنشاط كورتيسول في رعاية الأطفال وتأثيرات وقت النهار"، تشايلد ديفيلمبنت 69 (1998).

15- سوزان تشيرا، مكان الأم: اختيار العمل والأسرة دون خطيئة أو لوم (نيويورك: هاربربرينيال، 1999).

obeikandi.com

16- سوزان فالودي، الحركة الارتجاعية: الحرب غير المعلنة ضد النساء الأميركيات (نيويورك: راندوم هاوس، 1991).

17 " ?إنفلونزا مفيدة"، أبراهام بي برغمان، أرشيف طب الأطفال والمراهقين 156 (2002).

18- كيتلين فلانجان، أطلانطيك، نيسان 2004. في قصتها السابقة المعلنة على الغلاف في الصفحات نفسها، لاحظت فلانجان كذلك بعمق حقيقة أخرى مهمة عن حروب رعايتنا النهارية وهي أن بعض المناصرين المتحمسين لا يستخدمون الرعاية المؤسساتية. ويعتمدون بدلاً من ذلك رعاية منزلية مدفوعة الأجر.

19- حول أمثلة تُظهر كيف تتغلغل هذه القسوة فيما يدعى بمذهب الموجة الثالثة النسوي، انظر "نسوية الأطفال"، الويكلي ستاندارد (نوفمبر 5، 2001).

20- ستانلي كرتز، "لعبة الخطيئة"، نانشنال ريفيو دوت كوم (26 نيسان، 2001).

21- بيترز، حين تعمل الأمهات.

22- شكراً لستانلي كرتز على ملاحظته على مقال بلسكي. اتصال عبر الإيميل، تشرين الأول، 2003.

23- كي إس. هيموفيتز، مستعد أم لا: لماذا معاملة الأطفال كراشدين صغار يعرض مستقبلهم للخطر. ومستقبلنا (نيويورك: فري برس، 1999).

بحسب النظريات التقدمية وغير التقدمية المهيمنة في التربية، الأطفال متعلمون محفزون ذاتياً، ومتعاونون ضمنياً، وسيبتكرون استراتيجياتهم الخاصة. ففكرة الطفل المكتفي ذاتياً ـ وحتى فكرة الطفل الصغير المكتفي ذاتياً ـ هي أيضاً راسخة في علم النفس الحالي. ولقد شدد خبراء منذ بياجيه فصاعداً على معالجة الطفل العقلاني، والكفء للمعلومات، شاطبين أي احتكاك لهذا السيناريو السعيد مع "مراحل النمو". متأثرين بهذه النظريات، شدد المنظرون القانونيون المتطلعون إلى الأمام ـ هيلاري رودهام كلنتون بين كثيرين ـ على استقلالية الطفل

وحقوقه إزاء حقوق الوالدين (وهذه حركة تحفّزها رغبة سياسية للسماح للقاصرين بالمدخل السهل إلى الإجهاض).

24- انظر مقالتي "وضع الأطفال في المرتبة الأخيرة"، كومينتري (أيار، 1995).

25- من أجل قائمة تمثيلية، انظر آرلي رسلهوتستشايلد، رباط الزمن.

26- انظر، على سبيل المثال، سكيب ثورمان، "الرعاية النهارية تصبح رعاية ليلية في حقبة جداول العمل المشغولة"، مجلة كريستيان ساينس مونيتور (23 تشرين أول، 1997)، و"اتجاه رعاية نهارية 24 ساعة؟" سي بي سي نيوز دوت كوم، 13 تشرين الثاني، 2003.

27- سكيب ثورمان، "الرعاية النهارية تصبح رعاية ليلية في حقبة جداول عمل مشغولة"، (كريستيان ساينس مونيتور) 23 تشرين الأول، 1997).

28- انظر ليت سميث وإلين ريفيرا، "تحويل موظفي المكتبات إلى جليسي أطفال"، واشنطن بوست، شباط، 2004. انظر أيضاً كيلي باتريك، "مكتبات: الأمان العام غير مضمون"، فيلي دوت كوم (10 شباط، 2004).

الفصل الثاني

مشكلة الأطفال الضخمة

1- ديفد لاهور، "تيد بندي: فتى ملصق القتلة المتسلسلين"، كرايم ماجازين، 6 تشرين الأول. متاح على شبكة الإنترنت أيضاً.

2- برايان سي. روبرتسون، خداع الرعاية النهارية: ما لا تقوله لنا مؤسسة رعاية الطفل (سان فرنسيسكو: إنكاونتر بوكس، 2003).

3- المثال الجيد على مرونة كهذه هو دراسة آنا فرويد لأطفال في لندن يعيشون إلى جانب ملجأ، معظمهم لم يواصل حياة عادية فحسب ولكن مشكلاتهم المرضية كانت قليلة في ذلك الوقت.

4- جوناثان كيلرمان، مواليد متوحشة: تأملات في أطفال عنيفين (نيويورك: بالانتين بوكس، 1999).

5- انظر، على سبيل المثال، كيلرمان، مواليد متوحشة. انظر أيضاً جيمس كيو. ولسون، "طريقة الأسرة"، أوبينيون جورنال، 7 كانون الثاني، 2003. كما يقول البحث: "إن تفكك الأسرة أكثر أهمية من السلالة أو الدخل في شرح الجريمة العنيفة".

6- انظر مثلاً، "الوفاة من الجرائم، والانتحار والأسلحة"، تشايلد تريندز داتابانك، 2001.

7- جيمس كيو ولسون، "غور، بوش والجريمة"، سليت دوت كوم، 25 آب، 2000.

8- انظر، مثلاً، جيفري بتس من مؤسسة إربان مقتبس في آنا راديلات، "الانخفاض في جرائم الأحداث أربك الخبراء"، سولت ليك تريبيون، 28 نيسان، 2002.

9- جرائم المراهقين، الانتحار، والموت من السلاح الناري"، تشايلد تريندز داتابانك.

10- بين عام 1960 وعام 1998، على سبيل المثال، تضاعفت جرائم قتل الذين في سن الخامسة عشرة إلى الرابعة والعشرين في إنكلترا وويلز، بينما نسب الذين بين الرابعة والعشرين والخامسة والثلاثين ارتفعت إلى 60٪. انظر "نسب انتحار عمر معين"، المكتبة الإلكترونية القومية للصحة. انظر أيضاً نشرة منظمة الصحة العالمية يورو03\02\، "صحة الأطفال والمراهقين في أوروبا"، وهي تنوه أن "البلدان الأوروبية تمر في بعض أعلى نسب الانتحار في العالم" وأن "بعض البلدان أظهرت مؤخراً ارتفاعاً ثانوياً في المجموعة العمرية من 15 إلى 24 سنة.

11- انظر إميلي دوركهايم، الانتحار، دراسة في علم الاجتماع، إعادة طبع (نيويورك: فري بريس، 1997).

12- روبرت دي. بنتام، يلعب البولنغ وحيداً: انهيار وانبعاث الجماعة الأميركية (نيويورك: سيمون وتستر، 2000).

13- بارابار شنايدر وديفد ستيفنسون، الجيل الطموح: مراهقو أميركا: محفزون ولكن دون اتجاه (نيو هيفن، سي تي: مطبعة جامعة ييل، 1999).

14- المصدر نفسه.

15- إيريك فومبون، "أنماط السلوك الانتحاري لدى المراهقين المعرضين للخطر: اتجاهات الزمن وعلاقاتها المتبادلة"، المجلة البريطانية للطب النفسي، 137، (1998).

16- انظر، على سبيل المثال، حقائق الأب، الذي يلخص بعض الدراسات التي تسجل نسباً مرتفعة من المشكلات النفسية والعاطفية بين أطفال الطلاق.

17- ديفد لستر، "السلسلة ـ الزمنية إزاء العلاقات الإقليمية المتبادلة لنسب العنف الشخصي"؛ دراسات الوفيات (1993).

18- كلوديا واليس، "هل تحتاج رياض الأطفال إلى شرطة؟" التايم (15 كانون الأول، 2003). شكراً لستيفن ميناشي من أجل المرجع.

19- جريج توبو، "العنف المدرسي يحقق علامات أقل"، صحيفة يو إس إي تودي (12 كانون الثاني، 2003).

20- جوشوا كابلوفيتز، "كيف انتسبت إلى علِّموا من أجل أميركا ـ وحوكمت من أجل 20 مليون دولار"، سيتي جورنال (شتاء 2003).

21- الاقتباسات الثلاثة الأخيرة هي من مقال من التايم الذي ذكر سابقاً "هل تحتاج رياض الأطفال إلى شرطة؟"

22- المراسلة ثاليا أسوراس، "الأطفال يصبحون عنيفين في المدرسة"، سي بي إس، أخبار المساء، 10 كانون الثاني، 2004.

23- ريتشارد روزشتاين، "أضف التغيرات الاجتماعية إلى العوامل التي تؤثر في تدني علامات الاختبار"، نيويورك تايمز، 25 تشرين الأول، 2000.

24- فرانسيس فوكوياما، التمزق الكبير: الطبيعة الإنسانية وإعادة تأسيس النظام الاجتماعي (نيويورك: فري برس، 1999).

25- أشير كثيراً إلى حقيقة أن النساء اليابانيات يبقين بشكل نموذجي في المنزل مع أولادهن، في كل من أدبيات البحث ومن قبل الذين يعرفون اليابان. من أجل مقارنة ممتعة بين الأمهات السنغافوريات واليابانيات انظرسوه بنغ لينغ،"أم وقت كامل أم امرأة وظيفة دوام كامل"، أساهي شمبو إيشا نتورك (12 نيسان، 2002).

26- جودي هيمان، الفجوة المتسعة: لماذا عائلات أميركا العاملة معرضة للخطر وما الحل؟ (نيويورك: بيسك بوكس، 2000).

الفصل الثالث

لماذا ديك وجين بدينان

1- روب شتاين، "البدانة تتجاوز التدخين كسبب رئيسي للموت قابلة للتجنب"، واشنطن بوست، 10 آذار، 2004.

2- كي. إم.فليجال، إم. دي. كارول، سي. ل. أوجدن، سي. إل. جونسون. "انتشار واتجاهات في الوزن الزائد بين الأطفال والمراهقين الأميركيين"، مجلة الجمعية الطبية الأميركية 288، العدد 14 (9 تشرين الأول، 2002).

3- جويجنغ وانغ ووليم إتش. ديتز، "العبء الاقتصادي للبدانة في الصغار الذين بين السادسة والسابعة عشرة: 1979 ـ 1999"، بيديارتريكس5 (أيار 2002).

4- جريج كريستر، أرض السمنة: كيف أصبح الأميركيون أسمن بشر في العالم (بوسطن: هوتون ميفلن، 2003).

5- مكتيج مقتبس في بلم بيتش بوست دوت كوم، 18 حزيران، 2002. انظر كاثلين مكتيج، جون إم. جاريت وباري إم. بوكن، "التاريخ الطبيعي لتطور البدانة في مجموعة من الراشدين الأميركيين بين 1981 و1998"، حوليات طب الإنترنت 136، العدد 12 (18 حزيران، 2002).

6- جيمس ميكل، "الأطفال الزائدو الوزن يتلقون تحذير الداء السكري"، الغارديان، 21 شباط، 2002.

7- أندريه بيكارد، سمنة الأطفال تتجاوز سمنة الراشدين"، جلوب آند ميل، 19 تشرين الأول، 2002.

8- بي. ديأجنيو وآخرون، "البدانة والوزن الزائد لدى ما قبل المراهقين"، بوليتينو دميولوجيكو ناشيونال 14، العدد 1 (كانون الثاني، 2001). هناك نسخة إنكليزية مترجمة متاحة على الإنترنت.

9- إتش. كاليس، جي. لنز، وآر. فون كرايس، "انتشار الوزن الزائد والبدانة واتجاهات في مؤشر ضخامة الجسد لدى الأطفال الألمان في سن ما قبل المدرسة، 1982- 1997"، المجلة الدولية للبدانة 26، العدد 9 (أيلول 2002).

10- انظر"بدانة الأطفال: التنظير والوقاية"، إديشنز إنسيرم، 2000، 180 إف آر إي.

11- انظر وزارة العمل، مكتب إحصاءات العمل.

12- كرستين إف. بتشر، باتريسا إم. أندرسون، وفيليب بي. ليفن، "وظيفة الأم وبدانة الأطفال"، إف آر بي في ورقة عمل شيكاغو رقم 2002-10 (آب 2002).

13- إي. تاكاهاشي، كي. يوشيدا، جيتش سوجسموري، إم. مياكاوا، تي. إزونو، تي. ياماجامي، وإس. كاجاميموري، "عوامل التأثير في تطور البدانة في الأطفال الذين عمرهم ثلاث سنوات استناداً إلى دراسة توياما"، الطب الوقائي، (آذار 1999).

14- ميريديث مي. "إصلاحات الرفاه لا تنهي البؤس"، سان فرنسيسكو كرونيكل، 16 نيسان، 2002.

15- رغم أن الدراسات حول مشاهدة التلفاز ستملأ مكتبة الآن، هناك القليل من الأبحاث حالياً حول مسألة التسلية الثابتة ذات الصلة - أي ألعاب الفيديو والحاسوب - والتي يمضي فيها كثير من الأطفال وقتاً أطول من الذين يمضونه في مشاهدة التلفاز. من غير المعروف حتى الآن إن كانوا يأكلون كثيراً أو قليلاً أثناء اللعب. فإحصاءات مشاهدة

التلفاز لا تسجل الوقت الإضافي الذي يصرف على الألعاب، وهذا يعني أنها تستخف بذلك كثيراً.

16- جي. أرمسترونغ، جي. جي. ريلي، وفريق معلومات صحة الطفل، "رضاعة حليب الأم وتخفيض خطر بدانة الأطفال"، لانسيت 359 (8-9 حزيران 2002).

17- آلن إهرنهلت، المدينة المفقودة: الفضائل المنسية للجماعة في أميركا (نيويورك: بيسك بوكس، 1995).

18- شيلا بيل، "عشاء الأسرة، دون الأسرة"، واشنطن بوست، 11 كانون الثاني، 2004.

19- يمكن أيضاً إيراد حجة على هذه النتيجة: من المحتمل أن جزءاً من الازدياد في بدانة النساء، واللواتي كثير منهن أثقل أو أكثر بدانة من الرجال، يعكس توقاً مشابهاً أجاب عليه النكوص القسري إلى طعام بوحدات حرارية مرتفعة وإلى الكثير منه.

الفصل الرابع

كارثة الصحة الذهنية

1- تقرير مؤتمر كبير الأطباء حول الصحة الذهنية للأطفال: أجندة عمل يومي، 3 كانون الثاني، 2001، مكتب كبير الأطباء. التقرير متاح على الإنترنت.

2- الجمعية القومية للصحة الذهنية.

3- "قائمة فحص أعراض أمراض الأطفال في مستشفى ماساتشوسيتس العام"، متاحة على الإنترنت.

4- ويد إف. هورن وتوم سلفستر. حقائق الأب، الطبعة الرابعة (مشروع الأبوة القومي، 1992).

5- المصدر نفسه.

6- الاستثناء الملحوظ هو تقرير عام 2003 لمجلس الرئيس حول علم الأخلاق الأحيائي الذي ترأسه الطبيب والمفكر ليون كاس (في ما يلي دعي تقرير كاس) والذي يُعد قسمه حول تعزيز صحة الأطفال أحد الاختبارات الفلسفية القليلة للمحاولات الحالية المستندة إلى التكنولوجيا للتحكم بسلوك الأطفال والمراهقين. انظر ما وراء العلاج: التكنولوجيا الأحيائية وملاحقة السعادة، مقدمة بقلم ليون كاس، إم. دي. (نيويورك: ريجان بوكس، 2003). من أجل معالجة أخرى للمسائل الفلسفية التي أثارها التدخل التكنولوجي في الأطفال، انظر أيضاً فرانسيس فوكوياما مستقبلنا ما بعد الإنساني: عواقب الثورة التكنولوجية الأحيائية (نيويورك: فاراس، ستراوس وجيرو، 2002)، خاصة الفصل 3، علم العقاقير العصبية والتحكم بالسلوك".

7- كي. سي. برك، جي. دي. برك الابن، دي. إس. راي، ودي. إي. ريجيير، "مقارنة العمر في مستهل الاكتئاب الرئيسي واضطرابات نفسية أخرى في أطفال خمس جماعات أميركية"، أرشيف طب النفس العام 48 (1991).

8- مارغريت إي. شوجارت، إم. دي. وإلدا إم.لوبيز، إم.دي، "الاكتئاب في الأطفال والمراهقين: "حين تستحق المزاجية انتباهاً خاصاً"، طب ما بعد التخرج (أيلول 2002).

9- جين إم. توينج، "سن القلق؟ القلق والعصاب في مجموعات متغايرة، 1952- 1993"، مجلة علم النفس الاجتماعي والشخصي (كانون الأول 2000).

10- لندا لامب، "اضطرابات التوحد: مقابلة مع المؤلف والمناصر ميتزي والتز"، 9 تموز، 2002.

11- ماريان ميلر، رسالة إلى المحرر، نيويورك تايمز، 2 شباط، 2004.

12- حول المستويات غير المسبوقة لقتل الأطفال، انظر لورا سشنز ستوب، "الرُضع يُقتلون الآن غالباً مثل المراهقين"، واشنطن بوست، 10 كانون الأول، 2002.

13- انظر وليم دامون، توقعات أكبر، مقدمة؛ وكتاب وليم بلوم الذي حقق

obeikandl.com

أفضل المبيعات حول طلابه، إغلاق العقل الأميركي (نيويورك: سيمو وتستر، 1987). ومن أجل مقولة ذكية من قبل أستاذ المدرسة، انظر باتريك ويلش، "شاب، ذكر، أبيض ـ ومرتبك"، واشنطن بوست، 14 كانون الأول، 2003.

14- شوكارت ولوبيز، طب ما بعد التخرج.

15- جوديث لي. روبنشتاين وآخرون، "السلوك الانتحاري لدى المراهقين: التوتر والحماية في سياقات أسرية مختلفة". المجلة الأميركية لعلم النفس التقويمي 68 (1998).

16- وزارة العدل والخدمات الإنسانية الأميركية، المركز القومي لإحصاءات الصحة، ناشنال هيلث إنترفيو سرفي، 1988، هياتسفيل، إم دي.

17- إلين جونسون، روث إي. كي. شتاين، ومارك آر. دادز. "التأثيرات الملطفة لبنية الأسرة على العلاقة بين الصحة الجسدية والذهنية لدى الأطفال المدينيين المصابين بمرض مزمن"، مجلة علم نفس طب الأطفال 21 (1996).

18- تُظهر الإحصاءات الأخيرة حول الطلاق استقراراً ضئيلاً يمكن أن يشير أو لا يشير إلى تغير طويل الأمد في الاتجاه. في هذه الكتاب لا يزال الوقت مبكراً جداً لمعرفة ذلك.

19- توماس أرمسترونغ، أسطورة طفل اضطراب العجز عن الانتباه (نيويورك: بلوم، 1995).

20- تقرير كاس.

21- كما قال فرانسيس فوكوياما: "هناك بالطبع شرحٌ بسيط، والذي هو أن اضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط ليس مرضاً إطلاقاً وإنما بالأحرى نهاية المنحني الذي يصف توزع سلوك سوي بنحو تام. فالصغار، وخاصة الفتيان الصغار، لم يُصمموا من قبل النشوء كي يجلسوا إلى مقعد لساعات وينتبهوا إلى مدرّس، وإنما كي يركضوا ويلعبوا ويقوموا بأمور أخرى نشيطة جسدياً. فحقيقة أننا نطلب بنحو متزايد منهم أن يجلسوا هادئين في غرف الصفوف، أو

أن الوالدين أو المدرسين يمتلكون وقتاً أقل كي يمضوه معهم في مهمات ممتعة، هي ما يخلق الانطباع بأن هناك مرضاً متنامياً". فوكوياما، مستقبلنا ما بعد البشري.

22- لورنس ديلر، الاستمرار على الريتالين: طبيب يتأمل الأطفال، المجتمع والأداء في قرص دواء (نيويورك: بانتام بوكس، 1998).

23- الإشارة هي إلى أحد أخوتي، بيل سافوي، والذي حكم عليه الذين كانوا يعرفونه بأنه أكثر الأطفال نشاطاً وأرقاً من أي شخص من معارفهم. ولقد استقال مؤخراً كرقيب في سلاح المدفعية بعد عشرين عاماً من خدمته في المارينز.

24- الفصل الختامي للكتاب، "مسألة العليّة"، يعالج بمزيد من التفاصيل مسائل الذاتية والتحيز في الأدبيات المكتوبة حول اضطراب العجز عن الانتباه واضطرابات صحية ذهنية أخرى.

25- ميدلاين بلاس حول معلومات الصحة.

26- اضطراب قلق الانفصال، الوصف الأميركي، الصحة الذهنية على الإنترنت.

27- "كاليفورنيا تبكي ارتفاعاً بنسبة 237٪ في التوحد ولا نعرف السبب!" لوس أنجيليس تايمز، 15 نيسان، 1999.

28- سونيتي تشاكرابارتي وإريك فومبون،" اضطرابات النمو سريعة الانتشار في الأطفال قبل سن المدرسة"، مجلة الجمعية الطبية الأميركية 185 (2001).

29- جيروم جروبمان الاضطراب الوسواسي القهري، النيويوركر، 10 نيسان، 2000.

30- دانييل باتريك مونيهان، "وصف انخفاض الانحراف"، أميريكان سكولار (شتاء 1993).

31- انظر، على سبيل المثال، تاما لوين "الاستغلال مخيف كما يغير اختبار القابلية للدراسة سياسة العجز، نيويورك تايمز، تموز، 2002.

32- انظر مارثا راندولف كار، "عجز ابني، عدم قدرتي على رؤيته"، واشنطن بوست، 4 كانون الثاني، 2004.

obeikandl.com

33- مايكل سكوت مور، "شراء الوقت" سالون دوت كوم (9 شباط، 2000).

34- آرثر ليفن، تربية الغد مصنوعة على القياس"، نيويورك تايمز، 22 كانون الأول، 2000.

35- كينس آر. وايس، "القائمون بالوصاية يأمرون بمراجعة الوقت الزائد في اختبار القابلية للدراسة"، لوس أنجيليس تايمز، 20 كانون الثاني، 2000.

36- بن روزنبرغ، "سياسات الوقت الزائد هي فائدة غير عادلة"، بولدوغ نيوز (صحيفة الطلاب في كلية سينت ألبان، واشنطن العاصمة) 12 تشرين الثاني، 2003.

37- بيتر وود، "أفكار تسبب الشلل: السيطرة السيكولوجية القوية لاضطرب العجز عن الانتباه، ناشنال إنترفيو أون لاين دوت كوم، 5 حزيران، 2001.

38- جون ريكترز ودانتي سيكيتي، "مارك توين يوافق على كتيب المعايير التشخيصية والإحصائية DSM-III-R اضطراب السلوك، النمو، ومفهوم الخلل المؤذي"، ديفلبمنت وسايكوباثولوجي 5 (1993).

39- انظر نشرة الحقيقة "ما هو الاضطراب الوسواسي القهري"؟

40- هناك سبب تاريخي مستقل لهذا النفور الخاص. فبحسب برونو بيتلهايم، أحد الباحثين الأوائل الذي حدد سبباً للظاهرة المعروفة باسم التوحد، انبثق الاضطراب مما صار يُدعى "الأم البراد" - أم رفضت ابنها وجردته من الاتصال الأمومي الضروروي الذي يسمح للأطفال بأن ينموا بشكل سوي. إن كثيراً من نظرية بيتلهايم ومنهجيته في هذا المجال ومجالات أخرى صار يُهاجم، وهو الآن يُحط من قدره في أدبيات التوحد.

41- تشارلز جي. بروبر، إم. دي، إف. إي. إي. بي "الدليل يظهر أن التركيبة الوراثية، وليس لقاح إم آر آر، يحدد التوحد"، إي بي بي نيوز، كانون الأول، 1999.

42- مراسل إيميل خاص، 12 كانون الثاني، 2004.

opeikanguage.com

43- واي. تانو وإس أودا "وقت فطام الرضع المتوحدين" مجلة التوحد واضطرابات النمو (أيلول 1989).

44- إن كان الحليب هو الذي يهب هذه الفوائد أو التغيرات الجسدية النفسية الناجمة عن الصلة بين الأم والطفل فهذا أمر يدعم ما نذهب إليه هنا. شكراً لليون كاس مرة ثانية لملاحظة هذا الفرق.

45- إف. ديمتري وإم. دي. بابولس، الطفل المصاب باضطراب المس الانقباضي: الدليل المحدد والمطمئن إلى اضطراب الطفولة الأكثر تعرضاً لسوء الفهم (نيويورك: برودواي بوكس، 2002).

الفصل الخامس

العقاقير العجائبية والمعايير المزدوجة

1- تشتمل هذه العقاقير على القائمة المتنامية التالية ولكنها غير مقتصرة عليها: هي مضادات سيروتونين انتقائية تُستخدم مثل البروزاك للإكتئاب: مضادات للأمراض العقلية مثل رسببردال للضغط؛ وقبل كل شيء محفزات الجهاز العصبي الرئيسة (أديرال، الريتالين، كونسيرتا، وأدوية عديدة أخرى تنافس الآن من أجل الفائدة التجارية) لكل اضطراب العجز عن الانتباه واضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط.

2- شانكا فيدانتام، "المزيد من الأطفال يتناولون عقاقير للمداواة العقلية: سؤال "لماذا" لا يزال دون جواب"، الواشنطن بوست، 14 كانون الثاني، 2003.

3- جولي مانجو زيتو وآخرون، "نماذج ممارسة التأثير العقلي من أجل الصغار، منظور عمره 10 سنوات"، أرشيف طب الأطفال والمراهقين، 157 (كانون الثاني 2003).

4- فيدانتام، "المزيد من الأطفال يتناولون العقاقير الطبعقلية".

5- شيرل دي ستوابرج، "استخدام الأطفال للعقاقير الموصوفة لهم يتكاثر، كما تُظهر الدراسة"، نيويورك تايمز، 19 أيلول، 2002.

6- ليون كاس وآخرون ما وراء العلاج، التكنولوجيا الأحيائية وملاحقة السعادة: تقرير مجلس الرئيس حول علم الأخلاق الأحيائي (نيويورك: ريغان بوكس، 2003).

7- كويل جي. تي. "وصف عقار الطب العقلي للأطفال"، مجلة الجمعية الطبية الأميركية (23 شباط، 2000).

8- مارك كوفمان، "وكالة العقاقير الفدرالية حول مضادات الاكتئاب والصغار: تم تحذير الأطباء حول خطر نسب انتحار مرتفعة بين أولئك الذين تحت سن الثامنة عشرة الذين يتناولون العقاقير"، الواشنطن بوست، 28 تشرين الأول، 2003.

9- بما أن عقاقير كهذه يمكن أيضاً أن يكون لها تأثيرات جانبية، هناك حاجة إلى المزيد من العقاقير للسيطرة على عواقب المداواة الأولية. فالأطفال الذين يتناولون الميثيلفينيديت، على سبيل المثال، يحتاجون إلى أقراص منوّمة كي يصارعوا الأرق الذي تسببه؛ والأطفال الذين يتنالون السيروتونين يحتاجون غالباً إلى أدوية أخرى كي يواجهوا تأثيرات جانبية أخرى. هكذا، فاستخدام عقاقير الطب العقلي يتبعه استخدام عقاقير أخرى.

10- مايكل فومينتو، "سؤال مخادع:خدعة ليبرالية يتبين أنها صحيحة، "نيو ريببليك، 2 شباط، 2003.

11- مالكولم جلادويل، "الاستمرار على الريتالين"، نيو يوركر، 2 شباط، 1999. تستحضر ملاحظة جلادويل نقطة غالباً ما طرحها المناصرون: ثمة حاجة لعقاقير الطب العقلي من أجل إصلاح الخلل العقلي لبعض الناس، كما هناك حاجة للنظارات للمصابين بقصر النظر. إذا كان هذا صحيحاً، من الصعب عندئذ أن نشرح لماذا يكون رد فعل الناس العاديين بتلك الطريقة. فالميثيلفينديت (الريتالين) على سبيل المثال، يعمل بالطريقة نفسها على فسيولوجيا الناس كلهم، بغض النظر عن إن كانوا مصابين باضطراب العجز عن الانتباه أو

فرط النشاط. وكما يعبر الطبيب لورنس ديلر عن الأمر في كتابه الاستمرار على الريتالين، إن الميثيلفينديت "يحسّن بقوة أداء أي شخص. سواء أكان طفلاً أم لا، أو مصاباً باضطراب العجز عن الانتباه أم لا". وفي مقال نشره في ببليك إنتيريست قدم عالم النفس كين ليفينغستون ملخصاً مشابهاً للبحث، مورداً دراسات معروفة جيداً للمؤسسة القومية للصحة العقلية قامت بها جوديث رابورت من منتصف السبعينيات إلى أوائل الثمانينيات. ولقد أظهرت تلك الدراسات بوضوح، من وجهة نظر لفينغستون وآخرين، "أن العقاقير المحفّزة تحسّن أداء معظم الناس سواء كانوا مصابين باضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط أم لا، وفي مهمات تقتضي انتباهاً جيداً. ("في مستويات عليا من المداواة الذاتية في كل أنحاء العالم" على شكل "محفزات مثل الكافيين والنيكوتين").

ويصح الأمر نفسه على مضادات السيروتونين. فبحسب الخاتمة التي وضعها بيتر كريمر في عام 1997 لكتاب الإصغاء إلى البروزاك، "ليس هناك حتى الآن بحث ضخم معروف حول موضوع إن كانت مضادات السيروتونين تؤثر بالناس الذين لا يعانون من مشكلة عقلية... فالدراسات الصغيرة التي انتبهت إليها كلها تشير باتجاه واحد: تمتلك هذه الأدوية القوة على التأثير بـ "الأسوياء"، أي الذين لا يعانون من مرض عقلي".

ما تشير إليه هذه الحقائق هو خداع النظارة بالنسبة لكل العقاقير العقلية الموصوفة والتي يتناولها الأطفال اليوم. التناظر خاطئ. إذا ارتديت نظارة من أجل قصر البصر، فهي لا فائدة لها لشخص بصره 20\20.

12- في عام 1999 نشرت مقالاً في مجلة بوليسي ريفيو بعنوان "لماذا يحكم الريتالين" لخصت ما بدا آنذاك (وما يزال يبدو) مفارقة اجتماعية فاقعة: ففي الولايات المتحدة، حيث التلاميذ من فترة ما قبل المدرسة فصاعداً يستطيعون سرد التعالم الشفهية "المضادة للعقاقير" غيباً، فإن الملايين من أطفال الطبقة الوسطى والعليا والمراهقين يتم إخضاعهم قانونياً للعقاقير التي تحتوي على مواد

معدلة للعقل، وبينها محفّزات مثل الريتالين والتي تتقاطع كيماوياً مع الكوكايين. إن بعض الموضوعات في هذا الفصل، وبينها التشابهات الدوائية بين الريتالين والكوكايين تنهي التشخيص الذاتي لاضطرابي العجز عن الانتباه وفرط النشاط، وهي مدروسة بنحو مطوّل في ذلك المقال. انظر ماري إبرستاد، "لماذا يحكم الريتالين"، بوليسي ريفيو (نيسان ـ أيار 1999).

13- كوفمان، "تحذيرات وكالة العقاقير الفدرالية حول مضادات الاكتئاب والصغار".

14- مجلة تيتشر، تشرين الثاني/كانون الأول 1996.

15- سالي ساتل كما هي مقتبسة في مقال فومينتو، "سؤال مخادع".

16- مجلة تيتشر، تشرين الثاني/كانون الأول 1996.

17- " جمعية تشاد (الخاصة بالأطفال المصابين باضطراب العجز عن الانتباه وفرط النشاط) تعبر عن القرف من رصد غير صحيح، استثنائي لاضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط في عرض مونيل وليم"، نشرة صحفية، 16 نيسان، 2003.

18- كان الميثيلفينيديت موضة كنوع من كوكايين الفقراء حين كنت طالبة في الكلية منذ عشرين عاماً، وكان يُستنشق في الحفلات. ولم يكن يُسوّق في ذلك الوقت كمحفّز للأطفال (رغم أن تلك الفكرة كانت تطوراً تجارياً) بقدر ما كان يُوصف كدواء لمرضى القلب، وهكذا وصفه معظم المستخدمين آنذاك. ومهما كان هدفه المعلن، فإن التأثير الكيماوي للاستنشاق سيكون نفسه.

19- "سوء استخدام العقاقير العجائبية: المراهقون يبيعون الريتالين ويسيئون استخدامه"، إي بي سي نيوز دوت كوم، 25 شباط 2003.

20- كريستوفر تينانت، "جلبة الريتالين"، متاح على ستودنت دوت كوم.

21- (إدارة مكافحة المخدرات) شهادة الكونغرس، مقولة لتيرانس وودورث، نائب مدير مكتب التحكم بالانحراف، إدارة مكافحة المخدرات، أمام لجنة التربية وقوة العمل: اللجنة الفرعية للطفولة، والشباب والعائلات، 16 أيار، 2000.

22- إن مسألة إن كانت المنشطات الموصوفة تقود سوء استعمال مستقبلي لمواد ذات صلة مثل الكوكايين تبقى غير محلولة. من جهة، هناك دليل على أن المادتين تؤثران بالدماغ بالطريقة نسها كثيراً؛ انظر، على سبيل المثال، برايان فاستاج، "انتبهوا: الريتالين يعمل كثيراً من الكوكايين"، مجلة الجمعية الطبية الأميركية، 286 (2001). من أجل التأويل المعارض، بأن الريتالين، وغيره، يمنع بالفعل تناول المخدرات غير القانونية في المستقبل، انظر تي. إي. ولينز "هل العلاج المنشّط لاضطراب العجز عم الانتباه واضطراب فرط النشاط يؤدي إلى استخدام مواد أخرى فيما بعد؟ مراجعة ما وراء تحليلية للأدبيات"، بيدياتريكس (2003).

23- من أجل صورة رجل الريتالين (الذي هو أحياناً يباع عبر الإنترنت)، انظر موقع متحف الدمى على الإنترنت.

24- كارين توماس، "عودة إلى المدرسة من أجل عقاقير اضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط"، صحيفة يو إس إي تودي، 21 آب، 2001.

25- كاس، ما وراء العلاج.

26- لورنس ديلر، "حيلة تملصية لانتصار التسويق: صانعو العقاقير يبتكرون طرقاً للاحتيال على حظر الإعلان وتعزيز العقاقير العقلية للأطفال"، سالون دوت كوم، 18 تشرين الأول، 2001.

27- المصدر نفسه.

28- انظر دينيس بويل، "التناذر الذي صار مرضاً"، نيو ستيتسمان، 6 تشرين الأول، 2003. حول معلومات عن تصاعد سوء استعمال الريتالين في إنكلترا، انظر سو ريد، "لعنة أطفال الكوكايين"، الديلي ميل، 31 أيار، 2003.

29- رفعت دعاوى قضائية كثيرة مؤخراً ضد نوفارتيس، صانعة الريتالين. اتهمت نوفارتيس وتشاد بالتآمر لخلق ظاهرة اضطراب العجز عن الانتباه. ولكن حتى الآن رفضت كل منها.

30- انظر آنيت لانسفورد، "اضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط والجيش: هل يستطيع مرضانا الدخول إلى الجيش؟"

obeikandi.com

الأكاديمية الأميركية لطب الأطفال. موقع طب الأطفال والسلوك، خريف 1998.

31- المصدر نفسه.

32- إيلين بيلي، "اضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط في الجيش: لا يُرحب بالريتالين في الجيش"، مقابلة في أباوت دوت كوم. ابحث عن موقع "اضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط في الجيش".

33- رقيب الدرجة الأولى مايك ويستفال من جامعة ولاية كانساس آر أو تي سي، مقتبس في جيمس هورلا، "بناء جندي: المعايير العسكرية تحصر التطوع"، كانساس ستيت كوليجيان، 19 شباط، 2003.

34- انتبه إلى أن الجمعية الطبية القومية، التي تتألف من أكثر من عشرين ألف طبيب أسود، هي واحدة من المنظمات الصحية القليلة التي عبرت عن ارتياب عام حول المستويات الحالية من تناول العقاقير العقلية بين الأطفال.

35- تشارلز كروس، أثقل من السماء (نيويورك: هايبريون، 2001).

36- آدم ماثيوس، "إمينيم يفتتح"، رولينغ ستون، 27 نيسان، 1999. شكراً لستيفن ميناشي من أجل المرجع.

37- شكراً لريك إبرستاد من أجل مرجه سيمبسونز.

38- جون بوبيك، "انطلق وخذ بقرة، يا رجل"، مقابلة مع نانسي كاترايت، سيتي، أسبوعية روشيستر البديلة، 23 تشرين الأول، 2002.

39- إليزابيث ورتزل، "المغامرات في الريتالين"، نيويورك تايمز، 1 نيسان، 2000.

40- والتر كيرن، "مضاعفة الريتالين"، جي كيو، كانون الأول، 2000.

41- فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا ما بعد الإنساني: عواقب الثورة التكنولوجيا الأحيائية (نيويورك: فارار آند ستراوس آند جيرو، 2002).

42- كما تبين، حتى رؤية العقاقير العقلية عبر هذه العدسات الخيّرة تثير أسئلة غير مريحة. ذلك أن لجنة الرئيس حول علم الأخلاق

الأحيائي أنهت فحصها لتعزيز صحة الأطفال بهذه الملاحظات المضطربة: "سيكون من قبيل المفارقة، ألا نقول شريراً، إذا كانت الرغبة لإنتاج أطفال أفضل، من خلال استخدام أفضل ما تقدمه التكنولوجيا الأحيائية، كانت ستنجح في هدفها من خلال إسدال الستارة على "غياب طفولة" لدى الأطفال. وسيكون من قبيل المفارقة ألا نقول أنه شرير إذا كانت الرغبة لتحسين سلوك أطفالنا أو أدائهم قد زرعت أفكار نجاح قصيرة الأمد وضحلة على حساب تلك الأهداف الأنبل والحساسيات الأروع التي يمكن أن تجعل حياتهم كراشدين أفضل".

43- في عام 2001، صادقت كينيكتكت على قانون هو الأول من نوعه يمنع المدرسين ومسؤولين آخرين من تزكية عقاقير عقلية.

الفصل السادس

"أوزي وهارييت، عودا!"

الصرخة البدائية لموسيقى المراهقين

1- على نحو ساخر، إهرليش كان يتحدث في مؤتمر حول العنف المحلي.

2- أعني بـ "الموسيقى الشعبية" الروك المدني، التجاري وأغاني روك تهيمن على موجات الإف إم، الإم تي في والفي إتش 1، وغيرها. أما الروك المسيحي، وموسيقى الريف، رغم أنها أنواع شعبية، فهي موضات قائمة بنفسها وليست قيد المناقشة هنا.

3- شكر خاص لريك وكيت إبرستاد اللذين استندت إلى آرائهما العميقة حول الموسيقى المعاصرة في هذا الفصل.

4- في عام 1985، لنأخذ مثالاً معروفاً، شكلت زوجات عدة أعضاء كونغرس على جانبي الصف (من كلا الحزبين) لجنة قادتها تيد تيبر غور عُرفت باسم مركز مصدر موسيقى الوالدين، أو بي إم آر سي،

لتثقيف الوالدين حول ما يُدعى بـ "التيارات المرعبة" في الموسيقى الشعبية: العنف، الجريمة، المخدرات، الانتحار، وغيره. وفي عام 1995 ضغط تحالف آخر قاده وليم جي. بينيت وسي. دولوريس تكر، رئيس المؤتمر السياسي القومي للنساء السود، على عملاق الإعلام تايم وارنر لتعديل بعض موسيقى الراب.

5- بالنسبة للنجاح البراغماتي لهذه المحاولات، تنوعت النتائج. لقد أدى مركز مصدر موسيقى الوالدين إلى ابتكار مأمول: كان على بعض الأشرطة رقعة تحمل ما دعاه المركز بـ "المحتويات الواضحة"، وبعض محلات الأشرطة وافقت على تبني هذه الأشرطة (رغم أن كثيراً منها لم يفعل). وأدى جهد بينيت ـ تكر إلى انتصار أخلاقي من نوع رديء: وعد من المدراء التنفيذيين لتايم وارنر أن الشركة ستكون أكثر اجتهاداً في الضبط الأخلاقي لمنتجاتها. وحتى هكذا، إن ظواهر العنف وموضوعات أخرى غير مرغوبة في الموسيقى الحالية، والتي انطلقت كل من المجموعتين لمحاربتها، أصبحت أكثر ضخامة فيما بعد.

6- في عام 2000 شنت الأكاديمية الأميركية لطب الأطفال، والجمعية الطبية الأميركية، وجمعية علم النفس الأميركية، والأكاديمية الأميركية للطب العقلي للطفل والمراهق حرباً ضد الأغاني المعاصرة وأشكال أخرى من تسلية العنف الموجهة إلى الأطفال أمام الكونغرس في "أول بيان مشترك حول تأثير هذه التسلية العنيف على الأطفال". وكما شرحت تلك المجموعة القلق العام في بيان سياسي لاحق: "ما يسبب قلقاً لكثير من المهتمين بتطور ونمو المراهقين هو الموضوعات السلبية والمدمرة لبعض الروك وأنواع أخرى من الموسيقى، وبينها ألبومات تحقق أفضل المبيعات تسوّقها شركات تسجيل رئيسة".

7- وليم شو، "لماذا فرق الروك الأميركية غاضبة هكذا؟" يبليندر (مجل الموسيقى الأساسية)، آب 2002.

8- غابرييلا، "مقابلة مع مارك هوبز من بلينك 182"، إن واي روك، آب 2001.

9- "ميس بنك: نجم البوب هذا يتحدث اللغة الكونية لتمرد المراهقين"، إبي سي نيوز دوت كوم، 6 تشرين الثاني، 2003.

10- آلن جونز، مقابلة مع إدي فيدر، صانع اللحن، 21 أيار، 1994.

11- شاهيم ريد، تغطية من سوي كالاوي، "جي - زيد: ما الذي أستطيع قوله أكثر"، إم تي في دوت كوم، 12 تشرين الثاني، 2003.

12- دونا بريت، "الإحصاءات حول المراهقين لا تقول القصة كلها"، واشنطن بوست، 23 كانون الثاني، 2004.

13- جون ميتزجر، مراجعة لـ "إمينيم: مارشال مازرس إل بي"، صندوق الموسيقى 8، العدد 6 (حزيران 2000).

14- آلن بلوم، إغلاق العقل الأميركي (نيويورك: سيمن آند تشوستر، 1987).

الفصل السابع

أضرار جنس المراهقين "المسؤول"

1- "قناة فياكوم للبورنو"، افتتاحية، وول ستريت جورنال 4 شباط، 2004.

2- جون والش، "أنباء طيبة من مراهقي أميركا"، سالون دوت كوم، 30 نيسان، 1999.

3- جريج إيستربرك، مفارقة التقدم: كيف تتحسن الحياة بينما يشعر الناس بأنهم أسوأ (نيويورك: راندوم هاوس، 2003).

4- هيلارد وينستوك، ستيورات برمان، وويلارد جيتس، الابن، "الأمراض المنقولة بواسطة الجنس بين الشبان في أميركا: تقديرات الإصابة والانتشار، 2000"، منظورات حول الصحة الجنسية والتوليدية 36، عدد (كانون الثاني/ شباط 2004).

5- جي آر جيتس، إن. إل. هرندون، إس. إلز شولتز، وجي. إي. داروش، أصواتنا، حياتنا، مستقبلنا: الشباب والأمراض المنقولة بواسطة الجنس، كلية الصحافة والاتصالات الجماهيرية، جامعة نورث كارولاينا، 2004.

6- ديبرا كالموس وآخرون، "الوقاية من خطر أنماط السلوك الجنسي والحمل بين المراهقين: ربط البحث والبرامج"، منظورات حول الصحة الجنسية والتوليدية 35، ع 2 (آذار/نيسان 2003).

7- نيكولاس إبرستاد، مؤسسة العمل الأميركية، اتصال خاص، 7 آذار، 2004.

8- لتقديم مثال واحد على إهمال كهذا، هناك قائمة إحصاءات رئيسة حول صحة الأطفال والمراهقين، "أطفال أميركا، مؤشر قومي رئيسي للرفاه، 2003"، وهي لا تلاحق حتى مشكلات الاستغلال الجنسي للأطفال والأمراض المنقولة بواسطة الجنس. بدلاً من ذلك، تتبّع نسب حمل المراهقات كما لو أن هذه هي القياس الوحيد للرفاه الجنسي.

9- إ. برينر وآخرون، "اتجاهات في أنماط سلوك المجازفة الجنسية بين طلاب الثانوية - الولايات المتحدة، 1991 -2001، التقرير الأسبوعي حول نسبة انتشار المرض والوفيات، 27 أيلول، 2002.

10- لجنة الوقاية من الأمراض المنقولة بواسطة الجنس والتحكم بها، مؤسسة الطب، المرض الخفي: مواجهة الأمراض المنقولة بواسطة الجنس، تحرير، توماس آر. إنج ووليم تي. بتلر (واشنطن العاصمة: مطبعة الأكاديمية القومية، 1977).

11- أخبرني منذ خمسة عشر عاماً طبيب أطفال في واشنطن يُدعى رونالد باشيان أثناء زيارة روتينية لتفحص الطفل أن الأمراض المنقولة بواسطة الجنس لدى المراهقين كانت أسوأ مشكلة صحية واجهها أطباء الأطفال، وأن الأفكار الصحيحة سياسياً عن "الحرية الجنسية" كانت تحجب الأنباء السيئة عن الانتشار العام الذي تستحقه. ولقد كانت معرفته سبقية.

12- لجنة الوقاية من الأمراض المنقولة بواسطة الجنس والتحكم بها، المرض الخفي.

13- المصدر نفسه.

14- المصدر نفسه.

15- المصدر نفسه.

16- المصدر نفسه.

17- المصدر نفسه.

18- نشر موقع سالون على الشبكة، على سبيل المثال، كثيراً من القصص الآن حول هذا الموضوع بحيث أن فئة خاصة عن الجنس الفموي توجد في الأرشيف.

19- المصدر نفسه.

20- ميج ميكر، إم دي. المرض: كيف يقتل جنس المراهقين أطفالنا (واشنطن العاصمة، لايف لاين برس، 2002).

21- المصدر نفسه.

22- المصدر نفسه.

23- انظر، على سبيل المثال، آ. دبليو. بلم، تي. بيوهرنج، وبي. إم. راينهارت، حماية المراهقين: ما وراء السلالة، الدخل وبنية الأسرة. (مينابوليس: مركز صحة المراهقين، جامعة مينيسوتا، 2000).

24- ديبوراه إي كوهن، "متى وأين يمارس المراهقون الجنس؟ الدور الرئيسي للإشراف على الراشدين"، بيدياتريكس (كانون الأول 2002).

25- كالموس وآخرون، "منع السلوك الجنسي الخطير والحمل بين المراهقين".

26- بروس جي. إليس وآخرون، "نوعية العلاقات الأسرية الأولية والاختلافات الفردية في توقيت النضج الجنسي لدى الفتيات:

obeikandl.com

اخــتــبــار طولاني لنمــوذج تطوري"، مــجلة علم نفس الاجــتــمــاعي والشخصي 77 (آب 1999).

27- بروس جس. إليس وجودي جاربر سوابق نفسية اجتماعية للتنوع في توقيت بلوغ الفتيات: الاكتئاب الأمومي، حضور زوج الأم، والتوتر الزوجي والعائلي"، تشايلد ديفيلمبمنت 71 (آذار/ نيسان 1999).

28- روبرت جي. كـوينلان، "غــيــاب الأب، الرعــاية الأبوية، والتطور التوليدي الأنثوي"، التطور والبيولوجيا البشرية 24 (2003).

29- أندريه جي. سيدلاك، دكتوراه، وديان دي برودهيرست، إم. إل.إي. "ملخص إجرائي للدراسة القومية الثالثة حول استغلال الطفل وإهماله"، وزارة الصحة والخدمات الإنسانية الأميركية، أيلول 1996.

30- ديفد فنكلهورت وآخرون، "الأطفال المستغلون جنسياً في المسح القومي للوالدين: مسائل منهجية، "استغلال الطفل وإهماله (1997).

31- تيودور دالرمبل، "مدينتنا الاجتماعية الفاضلة العظيمة"، ناشنال ريفيو، 22 كانون الأول، 2003.

32- ديفد بلانكنهورن، "فقرة حس عام عن الاستغلال"، مشروع الأبوة القومي، 6 شباط، 2001.

33- شكراً لبي. جي أورورك على هذه الفكرة العميقة. اتصال خاص، آذار 2004.

34- كي إس. هايموفيتز، "تناقضات التنشئة الأبوية في عصر إعلامي"، في كيد ساف: تسويق الجنس والعنف بين الأطفال الأميركيين، تحرير. ديان رافيتش وجوزف بي. فيتيريتي (بالتيمور: جونز هوبكنز ينيفرسيتي برس، 2003).

الفصل الثامن: المدارس الداخلية الخصوصية

الحب الفظ أو تكليف الآخرين بالعمل الجوهري

1- لويس ساشر، ثقوب (نيويورك: فارار، ستراوس وجيرو، 1998).

2- كُررت هذه النقطة في جميع أدبيات الإحالة. كما تشرح خدمة واحدة دُعيت مساعدة الوالدين:"هناك المئات من المدارس الداخلية في الولايات المتحدة ولكن كثيراً منها لا تتجه نحو مساعدة المراهقين الذين يعانون من مشكلات".

3- سارا ريمر، "مقاييس يائسة: آباء الأطفال الذين يعانون من مشكلات ينشدون المساعدة بأية كلفة"، نيويورك تايمز، 10 أيلول، 2001.

4- يقول موقعها على شبكة الإنترنت: "نشأت أنماط كثيرة مختلفة من البرامج في العقد الماضي كي تخدم الحاجات المتنامية وأعداد الشبان المكافحين". تضيف نقطة كررها النقاد دوماً، أنه "بما أن مهنة المدارس والبرامج العلاجية هي حديثة نسبياً، ليس هناك حالياً معايير قومية لفئات عديدة من هذه البرامج".

5- انظر تيم واينر، "الوالدان، التسوق من أجل الضبط، اللجوء إلى المدارس الفظة في الخارج"، نيويورك تايمز، 9 أيار، 2003؛ و"الآباء منقسمون حول أكاديمية جامايكا العقابية"، نيويورك تايمز، 17 أيار، 2003؛ و"برنامج لمساعدة الشبان يعاني من مشكلاته الخاصة"، نيويورك تايمز، 6 أيلول 2003.

6- واينر، "الآباء، التسوق من أجل العقاب، اللجوء إلى المدارس الفظة في الخارج".

7- واينر، "الآباء منقسمون حول أكاديمية جامايكا للضبط".

8- واينر، "برنامج لمساعدة الشبان يعاني من مشكلاته الخاصة".

9- واينر، "آباء، يتسوقون من أجل العقاب، يلجؤون إلى المدارس الفظة في الخارج".

10- واينر، "برنامج لمساعدة الشبان يعاني من مشكلات الخاصة.

11- المصدر نفسه.

12- ديكا إيتكنهيد، "الملاذ الأخير"، مجلة الأوبزيرفر، 29 حزيران، 2003.

13- المصدر نفسه.

14- شيرلي آفني، "كنت قاطع طريق مستأجراً للحب الفظ"، سالون دوت كوم، 30 آب، 2000.

15- ألكسيا باركس، كولاك أميركي: معسكرات سرية للمراهقين (إلدورادو سبرينغ، سي أو: التبادل التربوي، 2000).

16- "تعديل السلوك: حل مشكلة المراهقين أو غسل الدماغ؟" أسوشييتد برس، 14 حزيران، 1999.

17- مارثا شيرك، "مساعدة الأطفال أم اختطافهم؟" يو إس تودي، حزيران 1999.

18- إريكا براون، "حين يتصرف الأطفال الأغنياء بنحو سيئ: العمل اليائس ولكن المربح لجمع الأطفال الانتحاريين سوية"، إبي سي نيوز دوت كوم، 10 تشرين أول، 1993.

19- باركس، معسكر اعتقال أميركي.

20- واينر، "برنامج لمساعدة الشبان يعاني من مشكلاته الخاصة".

21- رايمر، "مقاييس يائسة".

22- شيرك، "مساعدة الأطفال أم اختطافهم؟".

23- لمناقشة المجموعة المتصلة للتأثيرات المعاكسة في الرعاية النهارية، انظر ستانلي كرتز، "لعبة الخطيئة"، 26 نيسان، 2001.

24- مقتبس في رايمر، "مقاييس يائسة".

الفصل التاسع

خاتمة: ما وراء لعبة اللوم

1- في لغة محكمة، ينتهكون المبدأ الفلسفي المعروف باسم "موسى أوكام" ـ أي فكرة انه إن كان هناك شرحان يتنافسان من أجل القبول، فإن الذي يتطلب مقدمات منطقية أقل هو الذي يُفضل.

2- بحسب نظرية اللقاح، التوحد ناجم عن رد فعل معاكس على لقاح الحصبة، والنكاف و/أو الحصبة الألمانية.

3- ساندرا بليكسلي "ندوة لا تعثر على دليل لربط التوحد باللقاحات"، نيويورك تايمز، 19 أيار، 2004.

4- يقلق أطباء الأطفال خاصة من أن الآباء والأمهات لن يلقحوا أبناءهم في الموعد المحدد بسببها، وهكذا يزيدون من خطر تعرض الطفل للأمراض التي تخلصت منها اللقاحات حتى الآن.

5- ديمتري كرستاكيس وآخرون، "المشاهدة المبكرة للتلفاز ومشكلات الانتباه اللاحقة لدى الأطفال"، بيدياتريكس 113، ع 4 (نيسان 2004).

6- جوديث شوليفيتز، "أريد جليسي الإلكتروني!" سليت، 5 آب، 1999.

7- كما صاغت سوزان شيرا، من بين ألف من آخرين، النقطة: "من الجوهري أيضاً أن نتذكر أن الدراسات يمكن أن تعثر على علاقة متبادلة، ولكن هذا لا يبرهن على سبب وتأثير. ويمكن أن تشرح دراسة أن هناك صلة أقوى من المصادفة العشوائية بين عمل أم وعلامات طفل في الاختبار، ولكن هذا لا يبرهن أن عملها أثر في علامات الطالب". شيرا، مكان الأم.

8- يأتي أحد المعاني من تاريخ الفلسفة. إن شيئاً ما مثل "العلاقة المتبادلة لا تثبت العلّة" كانت الصرخة المعبئة لفيلسوف القرن الثامن عشر الاسكتلندي ديفد هيوم، الذي قدم اكتشافاً ذا صلة كي يتحدى

ميتافيزيقيا زمنه. كان مثال هيوم الأشهر الحقيقة المتواضعة أن الشمس تشرق وتغرب كل يوم. وقد قال إن معظم الناس يستخرجون استنتاجاً خاطئاً من هذه الحقيقة - ويعني، أن الشمس ستشرق غداً لأنها أشرقت في جميع الأيام السابقة. ولكن نموذجاً مستمراً لا يثبت العلة، وإنما يُظهر ما دعاه هيوم بـ "التزامن المستمر للأحداث".

9- وهكذا، في سياقنا الحالي، ستكون لغتهم شيئاً ما كهذا: هل يُظهر أطفال الطلاق نسباً من استهلاك المخدرات والكحول أكثر ارتفاعاً من الآخرين؟ ربما، ولكن هذا لا يقول لنا شيئاً لماذا يفعلون؛ في النهاية، العلاقات المتبادلة لا تثبت العلّة. هل بعض الأطفال الذين تعمل أمهاتهم وقتاً كاملاً يؤدون في الاختبار التربوي في السن الثالثة بنحو أسوأ من الآخرين؟ نعم. ربما، ولكن هذا لا يعني أن غياب الأم في ذاته هو مسؤول؛ في النهاية هناك كثيرٌ من "المتغايرات الداحضة" تقوم بعملها. هل الأطفال المراهقون الذين بدون آباء بيولوجيين في المنزل يُظهرون مشاكل أكثر في السلوك وعنفاً ونتائج تربوية أكثر سوءاً من الأطفال الآخرين؟ نعم، ولكننا لا نستطيع القول أن الآباء الغائبين هم السبب؛ فكثيرٌ من العوامل الأخرى، مثل الدخل المنخفض والتحركات المتكررة، يمكن أن تكون متضمنة، أيضاً.

10- هكذا كانت حجة كتاب جوديث ريتش هاريس المثير للجدل والذي حقق أفضل المبيعات، فرضية التربية، وهذا تمرين معقد بخاصة في إظهار أن العلاقات المتبادلة لا تُثبت العلة. جوهرياً، أخذت هاريس تلك الهراوة الريبية - العلاقات المتبادلة لا تثبت العلة - إلى كمية كبيرة من الأدبيات من القرن السابق، والتي أكدت تأثير الوالدين في تطور الطفل طويل الأمد. مستخدمة آخر الدراسات عن التوائم المفصولين ومحاولات أخرى لقياس تأثير التركيبة الوراثية على السلوك، قالت إن كثيراً مما نفكر به كـ " تنشئة" هو في الحقيقة وراثة مقنّعة، جزئياً. وقد اكتشفت أيضاً كمية كبيرة من العلم الاجتماعي يتم إيرادها بنحو شائع لدعم فرضية التنشئة "التي لا قيمة لها" لأسباب متنوعة: تفشل في أن تضع في عين الاعتبار مواصفات ضمنية للأطفال؛ تفشل في فك تأثيرات الوالدين في الأطفال عن تأثيرات

الأطفال في الوالدين ("مشكلة التأثيرات العلّية)؛ وتهمل عادة الفرق بين السلوك في المنزل والسلوك في العالم الخارجي. قدمت أيضاً دليلاً من مصادر متنوعة ـ ألسنية بخاصة ـ لتوحي أنه الوالدين ليسا التأثيرات المُشكلة بلأطفال، وإنما الأنداد.

11- هنا سبب آخر لارتياب كهذا، ويلقي مزيداً من الضوء حول كيف استُخدمتْ النقطة انتقائياً. فأن نقول إن العلاقة المتبادلة لا تثبت العلة صحيح بما يكفي، ولكنها لا تدحض العلة، كذلك. ولكن تلك اللازمة يُطعن فيها بشكل نموذجي من قبل الناس الذين يستحضرونها كمعيار ممتاز للحكم على الدليل. على سبيل المثال، حين يتم إظهار أن أطفال الطلاق يمتلكون احتمالاً أكبر بالإصابة بالمشكلات العلية والسلوكية، لا نستطيع أن نعزو تلك المشكلات إلى طلاق. الصياغة أعلنت؛ القضية أغلقت. هذه هي الطريقة التي أصبح فيها الجدل المعاصر حول الأسرة متكلساً. في نقطة ما أحدهم يذكر بقيتنا أن "العلاقة المتبادلة لا تثبت العلة"، ومن المفترض أن هذا التذكير هو نهاية الحجة. إنه ينهي النقاش.

ولكن هل يجب؟ انظروا مرة أخرى إلى الكلمات التي بين علامتي الاقتباس. تنطوي على أن علة المشكلات يمكن أن تكون أمراً آخر غير العلاقة المتبادلة التي هي قيد النقاش، ولكنها لا تبرهن أنه أمر آخر. ومن المهم بنحو مساو، أنها لا تستبعد أن العلاقة المتبادلة متصلة سببياً، أننا نستطيع فحسب أن "نبرهن" ذلك الكثير بالنظر إليها معزولة. بتعبير آخر، إن حقيقة أن الظاهرتين تظهران إلى جانب بعضهما بعضاً ـ مثل غياب الأب ونشاط جنسي مبكر، كما ذُكر في الفصل الخاص بالأمراض المنقولة عبر الجنس ـ لا تبرهن بنفسها أي شيء عن العلة السببية. ولكنها لا تعني أنهما يتزامنان بنحو عشوائي أيضاً، ولا تعني أيضاً أننا مخولون لاستبعاد علاقة متبادلة واحدة (غياب الأب) كعلة (للنشاط الجنسي الآخر المبكر). مع ذلك يشرح هذا الاستبعاد كيف يرفض المناصرون روتينياً اكتشافات موحية جداً عن العلاقة بين الوالدين الغائبين وآلام الأطفال والمراهقين.

12- حقائق الأب.

13- حول نسبة الطلاق، انظر لندا لامب، "اضطرابات التوحد: مقابلة مع المؤلف المناصر ميتزي والتز.

14- قال عالم النفس برونو بتلهايم لوقت طويل إن التوحد اضطراب ناجم عن الأمهات اللواتي لا يردن أولادهن. إن نظرية "لوم الأم" هذه جعلته شخصية ممقوتة جداً في التفكير الحديث.

15- كما تربط المؤسسات القومية للصحة النقاط العلّيّة في مشكلة الزواج: "العائلات التي لديها أطفال مصابون باضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط، ومشكلات سلوكية أخرى وأمراض مزمنة، يجربون مستويات متزايدة من الإحباط الأبوي، الخلاف الزوجي، والطلاق (التشديد من عندنا). انظر؛ أيضاً "ما تأثير اضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط على الأفراد، والأسر، والمجتمع؟" في تشخيص وعلاج اضطراب العجز عن الانتباه الناجم عن فرط النشاط، بيان إن أي إتش، على الخط 16، ع 2 (تشرين 16-18 تشرين الثاني، 1998).

16- إيمين تشين، إم دين أطروحة دكتوراه، ووالتر جي. روجان، إم. دي، "رضاعة ثدي الأم وخطر وفاة المواليد في الولايات المتحدة"، مجلة بيدياتريكس 5 (أيار 2004).

17- دونالد جي. مكهيو، الابن، "مطلوب دليل أبوي"، نيويورك تايمز، 12 تموز، 2003.

خاتمة

1- كي نورد مثالاً واحداً فحسب، حكمة إصلاح الرفاه كما نعرفها، التي أخذت أطفالاً دون آباء وجردتهم أيضاً من الأم معظم الوقت، تبدو قابلة للجدل جداً في ضوء العلاقات التي ذُكرت مسبقاً في هذا الكتاب بين وظيفة الأم وزيادة فترات الجلوس وكذلك السمنة.

2- كما عبر ستانلي كرتز عن النقطة: "نسي كثيرون منا الضرورة التي لا مهرب منها لإحساس ما معقول بالخطيئة لأي بشري يزدهر. الأمهات لا يستطعن النسيان". انظر "لعبة الخطيئة"، ناشنال ريفيو دوت كوم، 26 نيسان، 2001).

3- من أجل معلومات تاريخية معقدة حول نظريات تربية الطفل في المائة العام الأخيرة، انظر آن هلبرت، تربية أميركا: خبراء، آباء وأمهات وقرن من النصيحة حول الأطفال (نيويورك: كنوبف، 2003).

4- وليست هي دعوة "للعودة إلى الخمسينيات" العقد الذي لم أعش فيه أبداً أنا وكثير من القراء.

5- في الوقت نفسه هناك حدود حقيقية لحجة أن كل منزل مفرد في حقبة ازدهار غير مسبوق يحتاج إلى راتبين كي يجعل النهايات تلتقي. كما عبر ديفد جيليلنتر عن هذه النقطة بحدة منذ عدة أعوام في مقال في مجلة كومنتري بعنوان "لماذا الأمهات يجب أن يبقين في المنزل"، "حجة الضرورة الاقتصادية قد تكون قوية. ولكن ليس لها معنى: كأمة نحن معتادون على أن نكون أكثر فقراً، والنساء معتادات على البقاء في المنزل".

6- تكررت الفكرة بالنسبة لي في المنزل، ولكثير من الأمهات المقيمات في المنزل يوماً بعد آخر. تشترك كثير منا في تجربة الظهور في المدرسة لجلب أولادنا والإلحاح، أحياناً بنحو مشجٍ، من قبل أطفال آخرين في بعد الرعاية يسألون إن كانوا يستطيعون القدوم إلى منزلنا بدلاً من البقاء في المدرسة حتى السادسة. وسمعت مع مرور الأعوام تنويعات كثيرة حول هذا الموضوع. وإنها لحقيقة غريبة ولكنها مهمة أن النظام الاجتماعي الهرمي للأطفال وما قبل المراهقين يتحرك على نحو كبير في الاتجاه المعاكس للنظام الاجتماعي والتجاري للراشدين؛ في الأول، على عكس الثاني، الطفل الذي لديه أم في المنزل يثير حسد كثير من أنداده.

7- انظر، على سبيل المثال، ديفد بوبينو وباربارا ديفو وايتهيد، "الزواج والأطفال: الاجتماع سوية مرة أخرى؟" مشروع الزواج القومي، حزيران 2003.

~ ~ ~ ✎

obeikandl.com